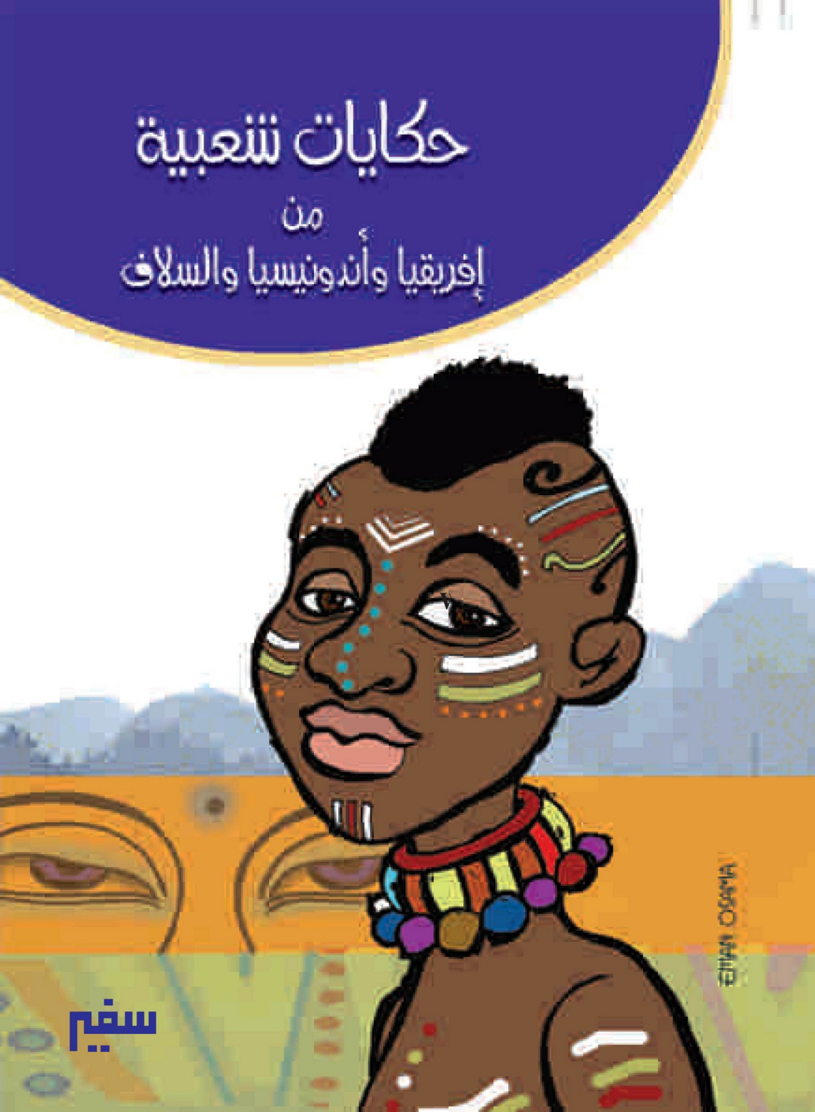


حكايات شعبية
من
إفريقيا وأندونيسيا والسلاف
سفير

حكايات شعبية

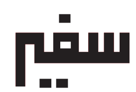
من

إفريقيا وأندونيسيا والسلاف

عبد التواب يوسف

رسوم

رأفت محيى الدين



الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

رقم الإيداع : ١٩٧٧٤ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : ISBN 977 - 361 - 357 - 7
سفير
١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العيني – ص.ب: ٤٢٥ الدقى – القاهرة
ت : ٢٥٣٢٩٩٠٢ –٠٠٢٠٢ فاكس : ٢٥٣٢٩٥٠٥ –٠٠٢٠٢
E-Mail: info@Safeer.com.eg Web Site: www.safeer.com.eg
المعرض الدائم
٤٨ ش أحمد عرابي المهندسين
تليفون : ٣٣٠٤٩٤٠٣ / ٢٠٢+


قصص من إفريقيا

بَيْتُ الْعَنْكَبُوت

إفْرِيقِيا السَّمْرَاءُ عِنْدَهَا وَلَعٌ خَاصٌّ بِالْعَنْكَبُوتِ ، وَفِى كَثِيرٍ مِنْ بُلْدَانِهَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اسْمَ : « أَنَانْسِى » . وَهُمْ يَنسجُونَ عَنْهُ حِكَايَاتٍ وَقِصَصًا عَدِيدَةً ، وَعِنْدَمَا يَرْغَبُونَ فِى امْتِدَاحِ شَخْصٍ يَقُولُونَ عَنْهُ : إِنَّهُ مِثْلُ العَنْكَبُوتِ ؛ لأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِيهِ مِنَ الْمِيزَاتِ مَا يَجْعَلُهُم يُحِبُّونَهُ ، وَيَحْتَرِمُونَهُ ، وَيُعِزُّونَهُ ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِى اسْتَطَاعَ أَنْ يَأْتِىَ بِكُلِّ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَيَنْسِبُونَ إِلَيهِ أَعْمَالاً خَارِقَةً ؛ مِنْ أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ التَّقْدِيرِ وَالإِعْجَابِ بِهِ .

العَنْكَبُوتُ « أَنَانْسِى » كَانَتْ عِنْدَهُ مُشْكِلَةٌ صَعْبَةٌ ، بَلْ هِىَ بَالِغَةُ الصُّعُوبَةِ ، يَقُولُونَ لَهُ :

– لَيْسَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ إلا لَدَيْهِ مَتَاعِبُ وَمَصَاعِبُ .

– أَعْرِفُ ، لَكِنْ لا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ غَيْرِى لَدَيْهِ مِثْلُ مُشْكِلَتِى .

– فَكِّرْ كَيْفَ تَحُلُّهَا وتَتَغَلَّبُ عَلَيْهَا .

– لَقَدْ فَكَّرْتُ أَنَا وَأَجْدَادِى ، مُنْذُ وُجِدْنَا عَلَى الأَرْضِ فِى مُوَاجَهَتِهَا ، وَلا أَظُنُّنَا نَجَحْنَا ! .

– كَرِّرِ الْمُحَاوَلَةَ ، لَكِنْ قُلْ لِى : مَا هِىَ الْمُشْكِلَةُ ؟

– أُرِيدُ أَنْ أَنْسجَ بَيْتِى .

– مَا مِنْ أَحَدٍ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَذَا !

– أَيْنَ أَبْنِيه؟

– أَيْنَمَا تَشَاءُ وَحَيْثُمَا تُرِيدُ .

– هُنَاكَ مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَرْفُضُ بِشِدَّةٍ .

– لِمَاذَا ؟

– يَدَّعِي أَنَّهُ يُرِيدُ بَيْتَهُ نَظِيفًا ، وَيَرَى فِي شَخْصِي وَفِي بَيْتِي مَا يُشَوِّهُ مَنْظَرَهُ وَيُسِيءُ إِلَى رَوْنَقِهِ !

– مَاذَا ؟

– إِنَّهُ مَايَقُولُونَهُ وَيُرَدِّدُونَهُ لَيْلَ نَهَارَ .

– لِذَلِكَ تَقُولُ : إِنَّهَا مُشْكِلَةٌ لَيْسَتْ سَهْلَةً وَلا يَسِيرَةً؟

– نَعَمْ ، وَفِيمَا يَبْدُو مَا مِنْ سَبِيلٍ أَوْ وَسِيلَةٍ إِلا بِالْهُرُوبِ إِلَى مَطْبَخِ الْبَيْتِ ، وَاحْتِلالِ رُكْنٍ مُظْلِمٍ فِيهِ.

– تَنَبَّهْ إِلَى ضَرُورَةِ أَلا تَرَاكَ رَبَّةُ الْبَيْتِ .

– هَذَا مَا أَرْجُوهُ .

تَسَلَّلَ الْعَنْكَبُوتُ إِلَى الْمَطْبَخِ بِسُرْعَةٍ ، سَاعَدَتْهُ عَلَيْهَا أَرْجُلُهُ

الثَّمَانِيَةُ، وَبَحَثَ عَنْ مَكَانٍ مُنَاسِبٍ يُقِيمُ فِيهِ بَيْتَهُ ، وَيَنْسِجُ خُيُوطَهُ، وَوَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى بُقْعَةٍ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَلْمَحَهُ أَوْ يَرَاهُ فِيهَا، وَتَسَلَّقَ الْجُدْرَانَ إِلَيْهَا، وَفِى هُدُوءٍ وَتُؤَدَةٍ أَخَذَ يَتَفَنَّنُ فِى إِقَامَةِ بَيْتِهِ الْهَادِئِ الْبَسِيطِ الَّذِى تَعَوَّدْنَا أَن نَرَاهُ فِى الأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ وَالْمَهْجُورَةِ.

بَدَأَ الْعَنْكَبُوتُ « أَنَانْسِى » يَصْنَعُ بَيْتَهُ .. هَلْ تَعْرِفُونَ كَيْفَ؟

أَخْرَجَ خَيْطًا طَوِيلاً مُمْتَدًا شَبَّكَهُ بَيْنَ الْجِدَارَيْنِ الْمُتَلاصِقَيْنِ مَعَ السَّقْفِ ، وَجَعَلَ مِنْهُ إِطَارًا وَثَلاثَةَ أَضْلاعٍ مِنْ مُرَبَّعٍ ، وَتَرَكَ الضِّلْعَ الرَّابِعَ دُونَ أَنْ يَرْبِطَهُ بِشَىْءٍ ، وَنَزَلَ بِخَيْطِهِ إِلَى الْوَسَطِ تَقْرِيبًا ، وَعِنْدَهُ أَخَذَ يَمُدُّ خُيُوطَهُ بَيْنَ أَضْلاعِ الْمُرَبَّعِ طُولِيًا ، وَعِنْدَ الْمُنْتَصَفِ لَفَّ حَوْلَ الْمَرْكَزِ عِدَّةَ دَوَائِرَ ، وَعِنْدَمَا كَادَ يَنْتَهِى مِنْهَا أَخَذَ يَجْعَلُ مِنْ خُيُوطِهِ شَيْئًا لَزِجًا ؛ لِيَلْتَصِقَ بِهَا الذُّبَابُ .

كُلُّ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ ، أَوْ تَتَنَبَّهَ إِلَيْهِ رَبَّةُ الْبَيْتِ. إِنَّهُ بَارِعٌ إِلَى دَرَجَةٍ رَائِعَةٍ ، وَقَدْ عَلَّمَ الإِنْسَانَ فِى فَجْرِ تَارِيخِهِ كَيْفَ يَنْسِجُ، كَمَا عَلَّمَهُ الْخُفَّاشُ وَسِيلَةَ صُنْعِ الرَّادَارِ.

الْوَحِيدُ الَّذِى لَمَحَ الْعَنْكَبُوتَ صُرْصُورٌ ضَخْمٌ ، أَخَذَ يَتَمَشَّى فِى أَرْجَاءِ الْمَطْبَخِ ، وَمَضَى زَاحِفًا فَوْقَ الْحَائِطِ ، وُصُولاً إِلَى بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ ، وَقَالَ لَهُ :

– لَقَدْ أَخْطَأْتَ فِى اخْتِيَارِ مَكَانِ بَيْتِكَ !

– بَلْ هُنَا أَنْسَبُ مَكَانٍ لَهُ .

– لا تَلُومَنَّ إلا نَفْسَكَ إذَا مَا هُدِمَ بَيْتُكَ !

– مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى أَنْ يَصْنَعَ ذَلِكَ؟

قَالَ الصُّرْصُورُ فِى هُدُوءٍ :

– يَبْدُو أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَزْدَادُ عُنْفًا وَشَرَاسَةً كُلَّمَا قَلَّتْ أَعْدَادُ أَرْجُلِهَا . إِنَّنِى أَرَاكَ طَيِّبًا وَرَقِيقًا ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ ؛ لأَنَّ لَكَ ثَمَانِىَ أَرْجُلٍ ، أَوْ أَرْبَعَةَ أَزْوَاجٍ مِنْهَا ، أَمَّا أَنَا فَإِنَّنِى ذُو سِتِّ أَرْجُلٍ ، أَىْ: ثَلاثَةُ أَزْوَاجٍ مِنْهَا ؛ لِذَلِكَ تَرَانِى أَكْثَرَ مِنْكَ قُوَّةً وَأَشَدَّ عُنْفًا.

– مَا عَلاقَةُ كُلِّ مَا تَقُولُهُ بِبَيْتِى ؟



– سَتَعْرِفُ لَوْ صَبَرْتَ قَليلاً . اُنْظُرْ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتى لَهَا أَرْبَعُ أَرْجُلٍ، سَوْفَ تَجِدُهَا أَقْوَى وَأَعْنَفَ.

– قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ صَحيحًا .

– أَمَّا ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ الَّذى لَهُ رِجْلانِ – وَاسْمُهُ الإِنْسَانُ – فَهُوَ أَشَدُّ شَرَاسَةً ، عَلَى رَغْمِ مُحَاوَلَتِه أَنْ يَبْدُوَ مُهَذَّبًا وَرَقيقًا. إنَّهُ خَبيثٌ، لا يُريدُ لِبَقيَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ أَنْ تَعيشَ عَلَى الأَرْضِ بِجَانِبِه ، هُوَ يُريدُهَا لِنَفْسِه وَحْدَهُ .

– أَطَلْتَ الْكَلامَ دُونَ أَنْ أَفْهَمَ مِنْكَ شَيْئًا .

– سَوْفَ تَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَمَا تَرَاكَ رَبَّةُ الْبَيْتِ .

اسْتَدَارَ الصُّرْصُورُ ، وَغَادَرَ الْمَكَانَ هَابِطًا عَلَى الْجِدَارِ ، وُصُولاً إِلَى الأَرْضِ ، مُنْطَلِقًا ؛ لِيَخْتَفِىَ بَيْنَ الشُّقُوقِ ؛ حَتَّى لا تَرَاهُ السَّيِّدَةُ صَاحِبَةُ الْبَيْتِ . وَقَدْ تَكَرَّرَ دُخُولُهَا إِلَى الْمَطْبَخِ دُونَ أَنْ تَلْحَظَ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ الَّذى نَسَجَهُ عِنْدَ السَّقْفِ فِى رُكْنٍ بَيْنَ جِدَارَيْنِ ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَمِرَّ طَويلا ؛ فَقَدْ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى أَعْلَى ، وَإِذَا بِهَا تَلْمَحُهُ، فَصَرَخَتْ فِى قَسْوَةٍ وَغَضَبٍ :

– بَيْتُ عَنْكَبُوتٍ فِى مَطْبَخِى ! هَذَا شَىْءٌ فَظِيعٌ. لَنْ أَسْمَحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حَيْثُ هُوَ .

امْتَدَّتْ يَدُ السَّيِّدَةِ إِلَى مِقَشَّةٍ طَوِيلَةِ الْيَدِ ، وَاعْتَلَتْ صُنْدُوقًا خَشَبِيًّا وَأَخَذَتْ تُمَزِّقُ خُيُوطَ الْبَيْتِ بِلا رَحْمَةٍ؛ فَاسْتَيْقَظَ الْعَنْكَبُوتُ، وَكَانَ نَائِمًا لِيَسْتَرِيحَ ، وَصَاحَ فِيهَا :



– مَاذَا تَفْعَلِينَ بِى وَبِبَيْتِى ؟ أَنْتِ تَهْدِمِينَهُ ، أَنْتِ لا تَدْرِينَ كَمْ أَجْهَدَنِى أَنْ أَبْنِيَهُ هُنَا ، عَالِيًا مُرْتَفِعًا ، وَأَرْهَقَنِى ذَلِكَ إِرْهَاقًا شَدِيدًا ، وَهَا أَنْتِ تَأْتِينَ لِكَىْ تَأْتِىَ عَلَيْهِ . أَنْتُمْ تَبْنُونَ بُيُوتَكُمْ بِالطُّوبِ وَالْحَجَرِ وَالْخَشَبِ، وَهِىَ أَشْيَاءُ تُوجَدُ بِكَثْرَةٍ مِنْ حَوْلِكُمْ ، أَمَّا أَنَا فَإِنَّنِى أَبْنِى بَيْتِى مِنْ دَاخِلِى، مِنْ قَلْبِى، وَأَفْرِزُ خُيُوطَهُ مِنْ دَاخِلِ جَسَدِى وَنَفْسِى، لِذَلِكَ هُوَ غَالٍ ثَمِينٌ، لا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ . إِنَّنِى الْمَخْلُوقُ الْوَحِيدُ الَّذِى يَصْنَعُ ذَلِكَ .

نَعَمْ ، تَصْنَعُ الدُّودَةُ لِنَفْسِهَا شَرْنَقَتَهَا ؛ لِتَمُوتَ فِيهَا ، ثُمَّ تُبْعَثُ مِنْ جَدِيدٍ فَرَاشَةً مُلَوَّنَةً ، أَمَّا أَنَا فَإِنَّنِى أُقِيمُ بَيْتِى مُعَرَّضًا لِلْهَوَاءِ الطَّلْقِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَصْطَادَ لِى طَعَامِى ، فَضْلا عَنْ أَنَّهُ يُؤْوِينِى .

لَمْ تُبْدِ رَبَّةُ الْبَيْتِ أَىَّ اهْتِمَامٍ بِكُلِّ مَا قَالَهُ الْعَنْكَبُوتُ ، بَلْ لَمْ تَسْتَمِعْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا قَالَهُ ، وَلَوْ أَنَّهَا فَهِمَتْ لُغَتَهُ مَا أَقَامَتْ وَزْنًا لِكُلِّ مَا صَرَخَ بِهِ ؛ لأَنَّهَا تَرَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْعَنْكَبُوتُ فِى مَطْبَخِهَا شَىْءٌ قَذِرٌ فَظِيعٌ، وَلَنْ تَقْبَلَ أَبَدًا أَنْ يَبْقَى حَيْثُ هُوَ؛ لِذَلِكَ لَمْ تَتَوَانَ فِى هَدْمِهِ وَتَدْمِيرِهِ وَتَشْرِيدِ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِى انْتَظَرَ إِلَى أَنْ غَادَرَتِ الْمَطْبَخَ ، وَنَزَلَ يَبْحَثُ عَنْ صَدِيقِهِ الصُّرْصُورِ .

وَقَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ الصُّرْصُورُ مِنَ الشِّقِّ ، الَّذِى اخْتَفَى فِيهِ ؛ يَرْقُبُ مِنْهُ مَا يَحْدُثُ ، وَرَأَى كُلَّ شَىْءٍ .

صَاحَ الْعَنْكَبُوتُ : هَلْ رَأَيْتَ مَاحَاقَ بِى وَ بِبَيْتِى؟

– نَعَمْ ، لَكِنَّكَ أَنْتَ الْمَلُومُ .

– تَرَاهَا تُحَطِّمُ بَيْتِى ، وَتَلُومُنِى أَنَا !

– هَذَا مَا تَسْتَحِقُّهُ ؛ فَأَنْتَ لَمْ تَسْتَمِعْ إِلَى نَصِيحَتِى .

– لَمْ أَتَصَوَّرْ قَطُّ أَنَّ هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ .

– إِنَّنِى آخِرُ مَنْ يُمْكِنُ أَنْ تَشْكُوَ إِلَيْهِ .

– مَا الْعَمَلُ الآنَ؟

– يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ لَكَ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ .

– أَيْنَ ؟

– فَكِّر .

– إِنَّ الْحَدَثَ قَدْ شَلَّ تَفْكِيرِى تَمَامًا .

– لِمَاذَا لَمْ تُفَكِّرْ فِى نَسْجِ خُيُوطِكَ فِى الْحَظِيرَةِ ؟

– الْحَظِيرَةُ !

– نَعَمْ ، الْحَيَوَانَاتُ ذَاتُ الأَرْبَعِ أَرْجُلٍ أَكْثَرُ رَحْمَةً مِنْ هَذَا الْمَخْلُوقِ الَّذِى لَهُ رِجْلانِ فَحَسْبُ . اذْهَبْ إِلَيْهَا وَاسْتَأْذِنْهَا أَوَّلا ، وَسَتَجِدُ لَدَيْهَا صَدْرًا حَنُونًا ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْعَى لِكَىْ تَرُدَّ لَهَا جَمِيلَهَا بَعْدَ أَنْ تَنْسِجَ بَيْتَكَ عِنْدَهَا .

مَضَى الْعَنْكَبُوتُ إِلَى الْحَظِيرَةِ ، وَكَانَ يَقِفُ بِهَا حِصَانٌ ، يَأْكُلُ وَجْبَتَهُ فِى هُدُوءٍ ، وَهُوَ يَهُزُّ ذَيْلَهُ فِى ضِيقٍ طَارِدًا الذُّبَابَ الَّذِى يُضَايِقُهُ ، وَلَمْ يَهْتَمَّ كَثِيرًا بِالْعَنْكَبُوتِ وَهُوَ يَتَسَلَّلُ إِلَى الْحَظِيرَةِ ، وَيَسْأَلُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يُقِيمَ بَيْتَهُ فِيهَا ، فَقَالَ الْحِصَانُ :

– الْمَكَانُ يَتَّسِعُ لَكَ وَلَنَا . تَفَضَّلْ عَلَى الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ .

– شُكْرًا جَزِيلاً لَكَ .

صَعِدَ الْعَنْكَبُوتُ إِلَى رُكْنٍ بَعِيدٍ ، وَأَخَذَ يُخْرِجُ خُيُوطَهُ مَنْ دَاخِلِهِ وَيَعْمَلُ فِى هِمَّةٍ ، وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلا :

– إِنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ الَّذِى لَيْسَ لَهُ غَيْرُ رِجْلَيْنِ اثْنَتَينِ يَغَارُ مِنِّى؛ لأَنَّ عِنْدِىَ ثَمَانِىَ أَرْجُلٍ ، نَعَمْ ثَمَانِى أَرْجُلٍ ، أَىْ: أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ مِنْهَا ، وَلَيْسَ لَدَيْهِ هُوَ غَيرُ زَوْجٍ وَاحِدٍ مِنَ الأَرْجُلِ يَقِفُ عَلَيْهِمَا ، وَيَسِيرُ ، وَيُرْهِقُهُمَا كَثِيراً . الصُّرْصُورُ ذُو السِّتِّ أَرْجُلٍ أَكْثَرُ مِنْهُ حَنَانًا وَرِقَّةً ، وَالْحِصَانُ أَيْضًا .

وَكَأَنَّمَا سَمِعَهُ الْحِصَانُ ، فَقَالَ لَهُ :

– هَلْ تُحِبُّ أَنْ تَأْتِىَ مَعِى إِلَى نُزْهَةٍ قَصِيرَةٍ؟

– مَعْذِرَةً ، لَيْتَنِى أَسْتَطِيعُ ! أَنْتَ تَرَانِى مَشْغُولاً بِالْبِنَاءِ .

اِسْتَمَرَّ الْعَنْكَبُوتُ فِى مُهِمَّتِهِ ، وَعِنْدَمَا نَادَتْهُ الْبَقَرَةُ لِكَىْ يَخْرُجَ مَعَهَا إِلَى الْمَرْعَى– لَعَلَّهُ يُصِيبُ بَعْضًا مِنَ الْحَشَائِشِ الْخَضْرَاءِ غِذَاءً لَهُ – اِعْتَذَرَ لَهَا ؛ فَلا وَقْتَ لَدَيْهِ لِذَلِكَ .

وَجَاءَتْهُ دَعْوَةٌ أُخْرَى مِنَ الْعَنْزَةِ ؛ لِكَىْ يَذْهَبَ مَعَهَا لِمُشَاهَدَةِ مُبَارَاةٍ فِى الْمُصَارَعَةِ بِالْقُرُونِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخَرُوفِ ، فَقَالَ لَهَا :



– كَمْ كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَشْهَدَ هَذِهِ الْمُبَارَاةَ ، لَكِنَّنِى بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ أُنْهِىَ بِنَاءَ الْبَيْتِ ، قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلامُ وَاللَّيْلُ؛ لِكَىْ أَجِدَ مَكَانًا أَنَامُ فِيهِ .

وَمَضَى يَعْمَلُ وَيَعْمَلُ ، دُونَ أَنْ يُعْطِىَ لِنَفْسِهِ فُرْصَةً لِرَاحَةٍ ، رُبَّمَا تُسْلِمُهُ إِلَى لَحْظَةِ كَسَلٍ . وَكَانَتْ خُيُوطُ الْبَيْتِ تَتَشَابَكُ فِيمَا بَيْنَهَا، وَهُوَ مُنْهَمِكٌ فِى الْعَمَلِ وَالْبِنَاءِ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَسْمَعِ الْقِطَّةَ وَهِىَ تُنَادِيهِ قَائِلَةً :

– مَا رَأْيُكَ فِى أَنْ تَأْتِىَ لِتَرَانِى أُطَارِدُ فَأْرًا؟

وَعِنْدَمَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا ، مَضَتْ تَمُوءُ فِى شَىْءٍ مِنَ الضِّيقِ ؛ فَقَدْ

كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تُرِيَهُ كَمْ هِيَ مَاهِرَةٌ ، وَدَخَلَ فِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ حِمَارٌ يَنْهَقُ ؛ فَأَزْعَجَ الْعَنْكَبُوتَ وَأَقْلَقَهُ .

قَالَ لَهُ :

– هَلْ لَكَ أَنْ تُخْفِضَ مِنْ صَوْتِكَ قَلِيلاً؟

قَالَ الْحِمَارُ :

أَيْنَ أَنْتَ يَا مَنْ تَهْمِسُ؟

رَدَّ الْعَنْكَبُوتُ :

هَاأنَذَا ، عِنْدَ السَّقْفِ أَبْنِى بَيْتِى .

– آهْ . . آسِفٌ ، وَاصِلْ عَمَلَكَ ، وَلَنْ يَتَكَرَّرَ مِنِّى ذَلِكَ . لَقَدْ كُنْتُ أُعْلِنُ وُجُودِى وَقُدُومِى فَقَطْ !

– أَهْلاً وَمَرْحَبًا بِكَ .

وَعِنْدَمَا غَابَ آخِرُ خَيْطٍ مِنْ خُيُوطِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ كَانَ الْعَنْكَبُوتُ يُخْرِجُ آخِرَ خَيْطٍ اكْتَمَلَ بِهِ الْبَيْتُ .

انْتَهَى الْعَنْكَبُوتُ مِنْ نَسْجِ بَيْتِهِ ، وَكَانَ يَبْدُو دَقِيقًا رَقِيقًا أَنِيقًا، وَقَدْ أَخَذَ مِنْ صَاحِبِهِ فِى بِنَائِهِ وَقْتًا طَوِيلا وَمُرْهِقًا، وَأَصْبَحَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَغْفُوَ وَيَنْعَسَ فِى دَعَةٍ وَهُدُوءٍ ؛ فَقَدْ قَامَ بِمُهِمَّتِهِ فِى هِمَّةٍ وَنَشَاطٍ؛ لِذَلِكَ اسْتَغْرَقَ فِى نَوْمٍ عَمِيقٍ، لَمْ يَسْتَيْقِظْ مِنْهُ إلا بَعْدَ أَنْ طَلَعَ الصَّبَاحُ ،وَاستَمْتَعَ بِمُوسِيقَى أَصْوَاتِ كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْحَظِيرَةِ : صَهِيلِ

الْحِصَان، وَمَأْمَأَة الْخِرَاف وَ الْمَاعِز ، وَمُوَاءِ الْقِطَّة ، وَنُبَاحِ الْكَلْب، وَتَنَاغَمَتْ كُلُّ هَذه الأَصْوَاتِ وَلَمْ يُحَاوِلِ الحِمَارُ النَّهِيقَ ؛ حَتَّى لا يُزْعِجَ الضَّيْفَ الْقَادِمَ عَلَيْهِمْ .

وَجَاءَ صَاحِبُ الْحَظِيرَة يُخْرِجُ حَيَوَانَاتِهَا ؛ لِيُؤَدِّىَ كُلٌّ مِنْهَا دَوْرَهُ، وَيَقُومَ بِوَاجِبِه ؛ فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ إِلا عَلَيْه مَسْئُولِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ يَنْهَضَ بِهَا بِإِخْلاصٍ . إِنَّ الْعَنْكَبُوتَ يَعْرِفُ هَذَا جَيِّدًا ؛ لِذَلِكَ فَتَّحَ عَيْنَيْه وَسأَلَ نَفْسَهُ :

ــ مَا الَّذِى يُمْكِنُنِى أَنْ أَنْهَضَ بِه مَعَهُمْ ؟ وَكَيْفَ أَرُدُّ لَهُمْ جَمِيلَهُمْ وَحُسْنَ اسْتِقْبَالِهِمْ؟

لَقَدْتَذَكَّرَ كَيْفَ كَانَ الْحِصَانُ ضَيِّقَ الصَّدْرِ بِالذُّبَابِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْه ، وَلَمَحَهُ يُبْعِدُهُ عَنْهُ بِذَيْله ، لَكِنَّهُ كَانَ مُضْطَرًا إِلَى أَنْ يَهُزَّ رَأْسَهُ ؛ لِيَطْرُدَهُ عَنْ وَجْهِه ؛ الأَمْرُ الَّذِى لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَجْهَدَهُ؛ إِنَّهُ يَهْتَزُّ رَأْسًا وَذَيْلا . وَقَدْ أَزْعَجَهُ طَنِينُ الذُّبَاب ، وَلَمْ يَكُنِ الأَمْرُ يَقْتَصِرُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ إِنَّ الْعَنْكَبُوتَ قَدْ سَمِعَ بِمَا تَنْقُلُهُ هَذِه الْحَشَرَةُ مِنْ جَرَاثِيمَ وَأَمْرَاضٍ لِلْمَخْلُوقَات ، وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ الْعَنْكَبُوتُ أَنَّهُ جَائِعٌ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْه الْفُرْصَةُ بِالأَمْسِ لِكَىْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَهُ ، وَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْمَكَان الصَّحِيحِ وَالْمُنَاسِب تَمَامًا لِبِنَاءِ بَيْته؛ إِذِ اكْتَشَفَ أَنَّ الْمَكَانَ يَعِجُّ بِذُبَابٍ كَثِيرٍ كَثِيفٍ ،وَهُنَا ابْتَسَمَ فِى رِضًا وَقَالَ :

ــ آهْ .. هَذِه هِىَ مُهِمَّتِى الْجَلِيلَةُ.

– وَعِنْدَمَا عَادَتْ حَيَوَانَاتُ الْحَظِيرَةِ ظُهْرًا كَانَتْ تَنْتَظِرُهَا مُفَاجَأَةٌ سَارَّةٌ وَلَطِيفَةٌ .

لَقَد اسْتَطَاعَ الْعَنْكَبُوتُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمَكَانَ مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الذُّبَابِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ الحِصَانُ؛ إِذْ أَحَسَّ أَنَّهُ لَيْسَ فِى حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَهُزَّ ذَيْلَهُ وَرَأْسَهُ مِنْ أَجْلِ طَرْدِ الذُّبَابِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فِى ابْتِهَاجٍ وَتَطَلَّعَ إِلَى الْعَنْكَبُوتِ ، وَقَالَ :

– أَهْلا بِكَ صَدِيقًا رَائِعًا ، شُكْرًا جِداً لَكَ عَلَى طَرْدِ هَذِهِ الْحَشَرَةِ اللَّعِينَةِ.

– عَفْواً ، هَذَا أَقَلُّ وَاجِبٍ أَقُومُ بِهِ نَحْوَكُمْ.

عَقَّبَ الْحِمَارُ قَائِلاً :

– يَسْتَطِيعُ الذُّبَابُ أَنْ يَذْهَبَ بَعِيداً عَنَّا؛

يُمْكِنُهُ أَنْ يَمْضِىَ إِلَى الْمَطْبَخِ، إِذَا شَاءَ.

وَضَحِكَتْ كُلُّ الْحَيَوَانَاتِ .

الصَّيَّادُ

حَمَلَ الصَّيَّادُ شَبَكَتَهُ ، وَمَضَى – كَالْمُعْتَادِ – نَحْوَ الْبَحْرِ، وَاخْتَارَ مَكَانًا يَعْرِفُ أَنَّهُ مَأْوًى لِلأَسْمَاكِ ، وَ نَصَبَ الشَّبَكَةَ فِى هُدُوءٍ وَهُوَ يَتَرَنَّمُ بِأُغْنِيَّاتٍ جَمِيلَةٍ ، فِيهَا أُمْنِيَّاتٌ طَيِّبَةٌ بِأَنْ تَنْجَحَ فِى مُهِمَّتِهَا، وَتَلْتَقِطَ لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الأَسْمَاكِ ، وَتَحْتَفِظَ بِهَا إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيهَا فِى الْيَوْمِ التَّالِى .

رَجَعَ الصَّيَّادُ ، وَكَانَتْ تَنْتَظِرُهُ مُفَاجَأَةٌ قَاسِيَةٌ ؛ إِذْ لَمْ يَجِدْ فِى الشَّبَكَةِ سَمَكَةً وَاحِدَةً ، وَشَعَرَ بِحُزْنٍ عَمِيقٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ، وَنَقَلَ الشَّبَكَةَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَهُوَ يَرْجُو أَلا يَتَكَرَّرَ مَعَهُ مَا حَدَثَ، خَاصَّةً أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ عَاتَبَتْهُ عِتَابًا مُرًا ، وَ قَالَتْ :

– مِنْ أَيْنَ نَأْكُلُ إِذَا كُنْتَ تَرْجِعُ إِلَيْنَا بِدُونِ صَيْدٍ ؟!

– لَسْتُ أَدْرِى – بِحَقٍّ – مَاذَا حَدَثَ ؟

– لا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَقُومَ بِحِرَاسَةِ شَبَكَتِكَ .

– نَحْنُ لا نَفْعَلُ هَذَا ؛لأَنَّ الدُّنْيَا أَمَانٌ وَ النَّاسَ شُرَفَاءُ .

– لَقَدْ تَغَيَّرَ حَالُهُمْ ، وَلَمْ يَعُودُوا كَمَا كَانُوا !

وَعِنْدَمَا ذَهَبَ الصَّيَّادُ فِى الْيَوْمِ التَّالِى إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَجَدَ

الشَّبَكَةَ خَالِيَةً تَمَامًا ؛ فَغَضِبَ بِشِدَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ غَيْرُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِمَا طَلَبَتْهُ زَوْجَتُهُ ، وَهُوَ أَنْ يَحْرُسَ الشَّبَكَةَ ؛ لِيَعْرِفَ مَنْ هَذَا الآثِمُ الَّذِى تَمْتَدُّ يَدُهُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَ يُحِلُّ لِنَفْسِهِ رِزْقَ غَيْرِهِ.

اِخْتَفَى الصَّيَّادُ وَرَاءَ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ ، وَاخْتَبَأَ وَسْطَ بَعْضِ الْحَشَائِشِ النَّامِيَةِ ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَأَخَذَ يَرْقُبُ الشَّبَكَةَ حَيْثُ وَضَعَهَا ، وَبَقِىَ طَوِيلاً إِلَى أَنْ طَلَعَ الْقَمَرُ عَلَى الدُّنْيَا بِلَوْنِهِ الْفِضِّىِّ الْجَمِيلِ ، وَكَسَا بِهِ صَفْحَةَ الْمَاءِ ، وَانْعَكَسَ مِنْ عَلَيْهِ بَهِيًا رَائِعًا، وَالهُدُوءُ يَسُودُ الدُّنْيَا ، فَمَا مِنْ شَىْءٍ غَيْرَ أَمْوَاجِ الْمِيَاهِ تَتَكَسَّرُ عَلَى الشَّاطِئِ، وَهَمْسِ الرِّيَاحِ وَتَحَرُّكِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ.



وَعَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ظَهَرَ شَبَحٌ ، مَعَالِمُهُ غَيْرُ وَاضِحَةٍ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَتَلَفَّتُ يَمِينًا وَيَسَارًا؛ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَكْشِفَ الْمَكَانَ ، وَهُوَ يَخْطُو فِى حَذَرٍ شَدِيدٍ نَاحِيَةَ الشَّبَكَةِ الْمَنْصُوبَةِ ، وَفِى يَدِهِ كِيسٌ كَبِيرٌ أَخَذَ يَضَعُ فِيهِ السَّمَكَ وَيُغَنِّى :

مَا أَكْثَرَ أَسْمَاكَ الْبَحْرْ !..

الشَّبَكَةُ مَلِيئَةٌ بِالْخَيْرْ ..

يَضْوِى تَحْتَ نُورِ الْقَمَرَ ..



أَنَا مَحْظُوظٌ هَذَا الفَجْر !.

لَمْ يَكُنْ جَمِيلَ الصَّوْتِ ، غَيْرَ أَنَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ كَانَتْ كَالْمُوسِيقى تُصَاحِبُ كَلِمَاتِهِ السَّاذَجَةَ ، وَهُوَ يَنْقُلُ السَّمَكَ مِنَ الشَّبَكِ إِلَى الْكِيسِ.

وَظَهَرَ لَهُ الصَّيَّادُ مِنْ مَخْبَئِهِ خَلْفَ الشَّجَرَةِ ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ فِى غَيْظٍ شَدِيدٍ .

صَاحَ الصَّيَّادُ ، وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنَ الرَّجُلِ :

– هَلْ هَذِهِ الشَّبَكَةُ لَكَ ؟

تَوَقَّفَ الرَّجُلُ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ مُرْتَبِكًا .

– كَيْفَ تَأْخُذُ مَا هُوَ لَيْسَ لَكَ؟

تَرَكَ الرَّجُلُ الْكِيسَ يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ فِى الْمَاءِ ، وَبَدَأَ يَسْبَحُ مُبْتَعِداً، وَالصَّيَّادُ يُحَاوِلُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ ، غَيْرَ أَنهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِذِ اخْتَفَى تَحْتَ الْمَاءِ ،وَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ اقْتِفَاءُ أَثَرِهِ ، وَظَلَّ يَعُومُ إِلَى أَنْ أَفْلَتَ بِنَفْسِهِ ، وَفَرَّ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ .

أَخَذَ الصَّيَّادُ الشَّبَكَةَ ، وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِمُغَادَرَةِ الْمَكَانِ ، وَفَجْأَةً لَمَحَ مَلابِسَ الرَّجُلِ وَبِجَانِبِهَا سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ، وَسِكِّينٌ ضَخْمٌ . كَانَ الرَّجُلُ قَدْ تَرَكَهَا عِنْدَ الشَّاطِئِ ، وَانْتَهَزَ الصَّيَّادُ الْفُرْصَةَ وَحَمَلَهَا مَعَهُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَرَأَى فِى ذَلِكَ عِقَابًا لِلرَّجُلِ عَلَى فِعْلَتِهِ.



وَعِنْدَمَا رَجَعَ حَكَى لِزَوْجَتِهِ مَا حَدَثَ ، فَقَالَتْ لَهُ :

– كَيْفَ تَتْرُكُهُ يَا رَجُلُ يَهْرُبُ مِنْكَ؟

– لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ أَلْحَقَ بِهِ، وَالأَمْوَاجُ تُخْفِيهِ عَنْ بَصَرِى.

– وَمَا هَذِهِ الْمَلابِسُ ، وَتِلْكَ السَّلَّةُ وَالسِّكِّينُ؟

– هِىَ أَشْيَاؤُهُ الَّتِى تَرَكَهَا .

– إِنَّهَا لا تُسَاوِى شَيْئًا مُقَابِلَ اسْتِيلائِهِ عَلَى صَيْدِكَ الْوَفِيرِ.

– قَدْ نَسْتَدِلُّ مِنْهَا عَلَيْهِ .

– هَذِهِ فِكْرَةٌ مَعْقُولَةٌ .

تَعَشَّى الصَّيَّادُ وَزَوْجَتُهُ وَأَوْلادُهُ مِمَّا عَثَرَ عَلَيهِ فِى الشَّبَكَةِ ، وَمَا تَبَقَّى فِيهَا ، وَنَامُوا فِى هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ، وَفَجْأَةً فِى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، سُمِعَ دَقٌّ عَنِيفٌ عَلَى طَبْلَةٍ ، وَصَوْتُ رَجُلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

– أَيُّهَا الصَّيَّادُ أَعِدْ إِلَيَّ ثِيَابِى وَسَلَّتِى وَسِكِّينِى .

اسْتَيْقَظَ الصَّيَّادُ وَأُسْرَتُهُ عَلَى دَقَّاتِ الطُّبُولِ ، وَعَلا صَرِيخُ الرَّجُلِ، وَقَدْ أَهَالَتْهُمْ صَفَاقَتُهُ وَوَقَاحَتُهُ؛ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ بِنَفْسِهِ لِيَفْضَحَ فِعْلَتَهُ، فَمَا كَانَ مِنَ الصَّيَّادِ إِلا أَنْ فَتَحَ النَّافِذَةَ، وَقَالَ لَهُ :

– أَعِدْ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَسْمَاكِى أُرْجِعْ إِلَيْكَ حَاجَاتِكَ .

صَرَخَ الرَّجُلُ :

– لَنْ أَدَعَكُمْ تَنَامُونَ إِذَا لَمْ تَرُدُّوا لِى أَشْيَائِى !

وَعَادَ يَدُقُّ الطَّبْلَةَ .

خَرَجَ إِلَيْهِ الصَّيَّادُ يَحْمِلُ سَوْطًا ، وَأَخَذَ يُفَتِّشُ عَنْهُ ، وَإِذَا بِهِ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ ! .. فَعَادَ إِلَى الْبَيْتِ. وَلَمْ تَمُرَّ غَيْرُ لَحَظَاتٍ قَصِيرَةٍ وَعَادَ دَقُّ الطَّبْلَةِ عَالِيًا يَكَادُ يُصِمُّ الآذَانَ .

وَتَوَسَّلَ الصِّغَارُ أَبْنَاءُ الصَّيَّادِ إِلَى أَبِيهِمْ أَنْ يُلْقِىَ لَهُ بِأَشْيَائِهِ ، لَكِنَّهُ رَفَضَ ، وَقَالَ :

– لَنْ أُعِيدَهَا إِلَيْهِ إِلا إِذَا عَوَّضَنِى عَمَّا أَخَذَهُ مِنْ أَسْمَاكٍ مِنْ شَبَكَتِى .

عِنْدَمَا عَمَّ النُّورُ الدُّنْيَا ، خَرَجَ الصَّيَّادُ مِنْ دَارِهِ مُتْعَبًا مُرْهَقًا ، يُفَتِّشُ عَنْ صَاحِبِ الْمَلابِسِ ، وَحَمَلَهَا مَعَهُ؛ لَعَلَّهُ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَيْهِ، وَأَخَذَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ يُقَابِلُهُ :

– هَلْ تَعْرِفُ صَاحِبَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ؟

كَانَتِ الإِجَابَةُ بِاسْتِمْرَارٍ: لا ، لَكِنَّ عَجُوزًا تَطَلَّعَ إِلَى الثِّيَابِ ، وَنَظَرَ إِلَى السَّلَّةِ وَأَمْسَكَ بِالسِّكِّينِ ، وَقَالَ :

– إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَنِى هَذِهِ الأَشْيَاءَ ، فَسَأَدُلُّكَ عَلَى صَاحِبِهَا .

قَالَ الصَّيَّادُ : إِنَّ لِى فِى ذِمَّتِهِ صَيْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ !

– سَأُعَوِّضُكَ عَنْهَا .

– مَاذَا سَتُعْطِينِى فِى مُقَابِلِهَا ؟

– سَأُعْطِيكَ هَذَا الجُوَالِقَ (الشِّوَالَ)، وَذَاكَ الْحَبْلَ ، وَهَذِهِ الْبَلْطَةَ.



– مَا قيمَتُهَا ؟

– سَوْفَ تُدْرِكُ مَا فيهَا مِنْ سِحْرٍ بِمُضِيِّ الْوَقْتِ .

قَبِلَ الصَّيَّادُ الصَّفْقَةَ ، وَأَعْطَى لِلْعَجُوزِ الثِّيَابَ وَالسَّلَّةَ وَالسِّكِّينَ، وَ حَمَلَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ ، وَهُوَ يَقُولُ لِلْعَجُوزِ :

– أَرْجُوكَ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنَ الْقُدُومِ إِلَى بَيْتِى وَدَقِّ طَبْلَتِهِ وَالصُّرَاخِ، وَهُوَ يَطْلُبُ أَشْيَاءَهُ .

– اطْمَئِنْ ، لَنْ يَأْتِيَكَ مَرَّةً أُخْرَى .

حَمَلَ الصَّيَّادُ مَا مَنَحَهُ إِيَّاهُ الْعَجُوزُ ، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ زَوْجَتَهُ سَوْفَ تَسْخَطُ عَلَيهِ ، وَتَتَشَاجَرُ مَعَهُ، وَتَقُولُ لَهُ :

– أَنْتَ دَائِمًا تَتَهَاوَنُ فِى حَقِّكَ !

– إِنَّنِى أَدْفَعُ ثَمَنَ تَخَلُّصِى مِمَّا يُحْدِثُهُ الرَّجُلُ مِنْ ضَجِيجٍ .

– وَلَكِنَّكَ لَمْ تَحْصُلْ عَلَى ثَمَنِ السَّمَكِ !



وَمَعَ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِى كَانَتْ هُنَاكَ مُفَاجَآتٌ مُذْهِلَةٌ تَنْتَظِرُ أُسْرَةَ الصَّيَّادِ ؛ إِذْ كَانَ مَا مَنَحَهُ إِيَّاهُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ أَشْيَاءَ سِحْرِيَّةً .

اكْتَشَفَتِ الأُسْرَةُ أَنَّ الْجُوَالِقَ يَمْتَلِئُ كُلَّ صَبَاحٍ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ .

وَأَذْهَلَهَا أَنَّ الْحَبْلَ تُصْبِحُ فِى آخِرِهِ بَقَرَةٌ كُلَّ يَوْمٍ ، يَحْلُبُونَهَا،وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ أَصْبَحَ لَدَيْهِمْ قَطِيعٌ كَبِيرٌ. أَمَا الْبَلْطَةُ، فَإِنَّهَا عِنْدَمَا كَانُوا يَحْمِلُونَهَا إِلَى الْغَابَةِ ، كَانَتْ تَطِيرُ وَحْدَهَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ؛ لِكَىْ تَكْسِرَ لَهُمْ أَغْصَانَ الشَّجَرِ ؛ لِيَحْمِلُوا لِلْبَيْتِ خَشَبًا يُوقِدُونَهُ لِلدِّفْءِ وَطَهْوِ الطَّعَامِ.

وَيَقُولُونَ فِى « نَيْچِيرِيَا » : إِنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ الثَّلاثَةَ الْمَسْحُورَةَ، مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وإِنَّ الْقَبَائِلَ الطَّيِّبَةَ الَّتِى تَصْنَعُ الْخَيْرَ وَتَكُفُّ عَنِ الْحُرُوبِ، تَحْصُلُ عَلَيْهَا .. كَيْفَ؟

لا أَحَدَ يَدْرِى!

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فِى الْمَاضِى الْبَعِيدِ ، الْبَعِيدِ جِداً ، كَانَتِ « الشَّمْسُ » تَعِيشُ عَلَى الأَرْضِ ، مِثْلَمَا يَعِيشُ عَلَيْهَا «الْبَحْرُ» . وَقَدْ تَعَوَّدَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ حِينٍ وآخَرَ عَلَى زِيَارَتِهِ ، وَرُبَّمَا أَطَالَتِ الْمُكُوثَ لَدَيْهِ، تَتَبَادَلُ مَعَهُ الْحَدِيثَ الْمُمْتِعَ ، وَيَتَنَاقَلانِ أَخْبَارَ هَذَا الْكَوْنِ الَّذِى كَانَ مَا يَزَالُ وَلِيداً صَغِيراً ، لَكِنَّهَا تَنَبَّهَتْ إِلَى أَمْرٍ صَارَحَتْ بِهِ صَدِيقَهَا الْبَحْرَ :

– لَقَدْ تَكَرَّرَتْ زِيَارَتِى لَكَ !

– إِنَّهُ كَرَمٌ مِنْكِ بِدُونِ شَكٍّ !

– لَكِنَّكَ لَمْ تَرُدَّ الزِّيَارَةَ قَطٌّ .

– ظُرُوفِى تَمْنَعُنِى مِنْ ذَلِكَ ، مَعَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ !

– أَىُّ ظُرُوفٍ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ ؟



– إنَّنِى كَبِيرٌ وَاسِعٌ مُتَرامِى الأَطْرَاف ، ثُمَّ إنَّ عِنْدى أَبْنَاءً وَأَحْيَاءً وَمَخْلُوقَات كَثيرَةً ؛ مِنْ حيتَان وَأَسْمَاك وَطُيُور وَسِبَاع ، وَ ... لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْرُكَهَا ، كَمَا أَنَّ بَيْتَك لا يُمْكِنُ أَنْ يَسَعَهَا .

قَالَت الشَّمْسُ :عُذْرُكَ هَذَا مَقْبُولٌ ، وَلَيْسَ أَمَامِى إلا أَنْ أَقُومَ بِبِنَاء بَيْت كَبِير ضَخْم، يَتَّسِعُ للأَصْدِقَاء الْقَادِمِينَ لزِيَارَتى، بِأَعْدَاد كَبِيرَة ؛ وَبِذَلِكَ لا يَكُونُ لَكَ عُذْرٌ تُبَرِّرُ بِه عَدَمَ زِيَارَتكَ لى.

قَالَ الْبَحْرُ : شُكْرًا عَلَى دَعْوَتك الْكَرِيمَة ، وَلا بُدَّ أَنْ نُلَبِّيَهَا ، وَنَسْعَدَ بِوُجُودنَا فى قَصْرِك الْكَبِير .

بَدَأَت الشَّمْسُ تَبْنى الْبَيْتَ، يُعَاوِنُهَا فِى ذَلكَ الْقَمَرُ ،زَوْجُهَا الْمُخْلِصُ، وَكَانَا يَرْغَبَان فِى أَنْ يَزُورَهُمَا « البحْرُ» وَأَعْوَانُهُ وَأَصْحَابُهُ؛

لذَلكَ قَامَا مَعًا يُشَيِّدَان بَيْتًا كَبيراً مُتَّسعًا ؛ كَىْ يَسْتَقْبلا فيه الضَّيْفَ وَأَتْبَاعَهُ ، كَالْحُوت وَالدَّرْفيلِ، ثُمَّ قَدَّمَا لَهُ الدَّعْوَةَ ؛ ليَتَفَضَّلَ عَلَيْهمَا بالزِّيَارَة ، فَسَأَلَ :

– هَلِ الْبَيْتُ آمِنٌ ، وَيَكْفِينَا ؟

– نَعَمْ .

– شُكْرًا عَلَى مَا تَتَمَتَّعَان به منْ نُبْلٍ وَفَضْلٍ .

– الْمِيَاهُ تَسْتَحِقُّ منَّا كُلَّ التَّقْديْرِ ؛ فَهِىَ أَصْلُ الْحَيَاة.

– مَا منْ أَحَدٍ يُنْكِرُ فَضْلَك يَا شَمْسُ عَلَى الْحَيَاة.

– هَيَّا ، تَعَالَ يَا بَحْرُ ، إِنَّنَا فِى انْتظَارِكَ .

وَتَبْدَأُ الْمِيَاهُ فِى التَّدَفُّقِ ؛ أَمْوَاجًا إِثْرَ أَمْوَاجٍ ، حَاملَةً مَعَهَا كُلَّ الأَحْيَاءِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِى تَعِيشُ فِى الْبَحْرِ ؛ لِتَدْخُلَ بَيْتَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ، وَأَخَذَتْ تَعْلُو .. وَتَعْلُو .. وَتَعْلُو، حَتَّى مَا عَادَ هُنَاكَ مَكَانٌ لِصَاحِبَى الْمَنْزِلِ ؛ لِذَلكَ أَخَذَا يَصْعَدَانِ إِلَى سَطْحِ الْبَيْت، وَهُمَا خَجُولانِ، فَمَا كَانَا يَتَصَوَّرَانِ أَنْ يَضِيقَ بِهِمَا الْبَيْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ.

وَبَدَأَتِ الْمِيَاهُ تَغْمُرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدَّارِ ،وَوَصَلَتْ سَقْفَهُ وَتَجَاوَزَتْهُ ارْتِفَاعًا إِلَى السَّطْحِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَحِّبَانِ بِالْوَافِدِ الضَّيْفِ ، وَاضْطُرَّا إِلَى مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ وَالصُّعُودِ إِلَى أَعْلَى .. إِلَى أَعْلَى .. إِلَى أَعْلَى.

لَمْ يَعُدْ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَكَانٌ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ ؛ لأَنَّ الْبَحْرَ احْتَلَّ بَيْتَهُمَا ، رَغْمَ اتِّسَاعِه ، وَسَكَنَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ، وَاسْتَقَرَّا فِيهَا ؛ لِيَتَطَلَّعَ إِلَيْهِمَا النَّاسُ ، وَلِيَتَذَكَّرُوا مَدَى كَرَمِهِمَا وَجُودِهِمَا .

وَكَانَتِ الشَّمْسُ خِلالَ النَّهَارِ تَفْرِشُ مِيَاهَ الْبَحْرِ بِنُورِهَا ، وَتَمُدُّهُ بِالدِّفْءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ بِدَوْرِهَا تَقُومُ بِتَحْوِيلِ بَعْضِ الْمِيَاهِ إِلَى بُخَارٍ يَصْعَدُ إِلَى أعْلَى لِرَغْبَتِهِ فِى زِيَارَةِ الشَّمْسِ ، حَيْثُ هِىَ فِى سَمَائِهَا .

وَكَانَ الْقَمَرُ لَيْلاً يُغَطِّى سَطْحَ الْمِيَاهِ بِضَوْءٍ فِضِّىٍّ جَمِيلٍ ، يَلْمَعُ وَيَتَأَلَّقُ ، وَكَانَ الْبَحْرُ بِدَوْرِهِ يَعْكِسُ هَذَا الضِّيَاءَ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ كَوْكَبُ الأَرْضِ كُلُّهُ .

إِنَّ الصِّلَةَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَمْ تَنْقَطِعْ قَطُّ مُنْذُ صُعُودِهِمَا إِلَى السَّمَاءِ .

لَقَدْ بَقِيَتْ عَلاقَةُ الصَّدَاقَةِ قَائِمَةً أَبَدَ الآبَادِ .

وَيَقُولُ الأَفَارِقَةُ :

إِذَا كَانَ هَذَا يَحْدُثُ بَيْنَ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ ، فَيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الْبَشَرِ ، أَصْحَابِ الْعُقُولِ الذَّكِيَّةِ !

الْكُلُّ يَتَكَلَّمُ

الْوَقْتُ : صَيْفٌ .

الشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشِعَّتَهَا النَّارِيَّةَ عَلَى الْحَقْلِ الصَّغِيرِ ، وَصَاحِبِهِ ، وَقَدْ أَخَذَ يَحْفِرُ الأَرْضَ بِفَأْسِهِ ؛ لِيُيَسِّرَ لِنَفْسِهِ اقْتِلاعَ الْبَصَلِ وَالْجَزَرِ، وَكَانَ قَدْ نَسِيَهُمَا طَوِيلاً ، وَلَوْلا عِنَايَةُ السَّمَاءِ بِهِمَا وَمَا بَعَثَتْ بِهِ مِنْ غَيْثٍ ، مَا نَبَتَا ، وَأَطَلَّتْ شَوَاشِيهِمَا الْخَضْرَاءُ مِنْ بَاطِنِ التُّرْبَةِ. لَقَدْ غَفَلَ عَنْهَا ، وَلَمْ يُنَقِّ مِنْ حَوْلِهَا الْحَشَائِشَ الْعَشْوَائِيَّةَ الْبَرِّيَّةَ الَّتِى قَاسَمَتْهَا طَعَامَهَا وَضَوْءَ الشَّمْسِ ، وَمَا إِنْ فَتَّحَتِ الْجَزَرَةُ عَيْنَيهَا عَلَى النُّورِ، حَتَّى قَالَتْ لَهُ مُعَاتِبَةً :

– آهْ .. هَا قَدْ تَذَكَّرْتَنَا أَخِيراً . جِئْتَ لِلْحَصَادِ !

تَلَفَّتَ الْفَلاحُ مِنْ حَوْلِهِ بَاحِثًا عَمَّنْ يَتَكَلَّمُ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا ؛ فَازْدَادَ دَهْشَةً عَلَى دَهَشِهِ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الْبَقَرَةِ الَّتِى كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهِ وَهِيَ تَجْتَرُّ طَعَامَهَا ، وَسَأَلَهَا :

– هَلْ أَنْتِ الَّتِى تَكَلَّمْتِ ؟

لَمْ تَرُدَّ الْبَقَرَةُ ؛ فَقَدْ كَانَ فَمُهَا مُمْتَلِئًا بِالطَّعَامِ ، وَقَدْ دَرَّبَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَلا تَتَكَلَّمَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ ؛ إِذْ يَتَطَايَرُ مِنْهَا رَذَاذٌ يُصِيبُ مَنْ حَوْلَهَا، لَكِنَّ صَوْتًا ارْتَفَعَ ؛ لِيَرُدَّ عَلَى الْفَلاحِ قَائِلاً :

– لَمْ تَكُنِ الْبَقَرَةُ هِيَ الْمُتَحَدِّثَةَ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ الْجَزَرَةُ الَّتِى

اقْتَلَعْتَهَا مِنَ الأَرْضِ .

نَظَرَ الفَلاحُ مَصْعُوقًا إِلَى عَنْزَةٍ تَقِفُ بِجَانِبِ الْبَقَرَةِ ، وَسَأَلَهَا : هَلْ تَكَلَّمْتِ يَا عَنْزَتِى الْعَزِيزَةَ؟

– مَنْ تَظُنُّ تَكَلَّمَ غَيْرَهَا ؟

– الصَّوْتُ يَأْتِينِى الآنَ مِنْ أَعْلَى .

– نَعَمْ ، إِنَّهُ صَوْتِى أَنَا .

– مَنْ ؟ النَّخْلَةُ ؟

– إِنَّهَا أَنَا ، وَلا شَىْءَ غَيْرِى ، لَقَدِ اقْتَلَعْتَ جَرِيدِى أَمْسِ .

– كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ .

– وَلَكِنَّكَ وَضَعْتَهُ مِنْ أَعْلَى ، فَكِدْتَ تَكْتُمُ أَنْفَاسِى .

– مَنْ تَكُونُ يَا مَنْ تَتَحَدَّثُ إِلَىَّ مِنْ عَلَى الأَرْضِ ؟

– أَنَا الْحَجَرُ .

– حَتَّى الْحَجَرُ يَتَكَلَّمُ ! وَالْجَمِيعُ يَلُومُونَنِى ؟ إِنَّنِى لَنْ أَبْقَى دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِى هَذَا الْحَقْلِ الْمَسْحُورِ .

جَرَى الْفَلاحُ مُغَادِرًا الْحَقْلَ ، وَظَلَّ مُنْطَلِقًا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى أَنِ الْتَقَى مَعَ صَيَّادِ سَمَكٍ ، سَأَلَهُ :

– لِمَاذَا تَجْرِى يَا عَزِيزِى ؟

– لَقَدْ تَكَلَّمَتِ الْجَزَرَةُ ، وَالْعَنْزَةُ ،وَالنَّخْلَةُ ، وَالْحَجَرُ نَطَقَ!

– وَأَىُّ شَىْءٍ فِى هَذَا ؟ إِنَّنِى – أَيْضًا – أَتَكَلَّمُ .

– مَنْ تَكُونِينَ ؟

– أَنَا سَمَكَةٌ .

قَالَ الصَّيَّادُ : يَا سَلام .. السَّمَكَةُ تَتَكَلَّمُ .

شَارَكَ الصَّيَّادُ زَمِيلَهُ الْفَلاحَ فِى الْجَرْىِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى بِالشَّبَكَةِ وَمَا فِيهَا ، لَكِنَّ نَسَّاجًا قَابَلَهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يَحْمِلُ لُفافَةً مِنْ قُمَاشٍ نَسَجَهُ ، وَإِذَا بِهَا تَقُولُ :

– مَاذَا حَدَثَ لِيَجْرِىَ كُلٌّ مِنْكُمَا بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ؟

قَذَفَ النَّسَّاجُ بِالْقُمَاشِ ،وَجَرَى مَعَهُمَا إِلَى أَنِ اعْتَرَضَهُمْ نَهْرٌ وَفَتَاةٌ وَاقِفَةٌ تَمْلأُ مِنْهُ الْمَاءَ ، فَتَوَقَّفَتْ عَمَّا تَفْعَلُهُ، وَارْتَفَعَ صَوْتٌ يَسْأَلُ:

– هَلْ تُطَارِدُونَ غَزَالَةً؟

– لا ..هَلْ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ مَنْ تَسْأَلِينَ ؟

– لا ، إِنَّهَا أَنَا .. أَنَا الْمِيَاهُ .



تَرَكَت الْفَتَاةُ الْجَرَّةَ الَّتِى كَانَتْ تَمْلَؤُهَا بِالمَاءِ، وَجَرَتْ مَعَ الْفَلاحِ الَّذِى كَلَّمَتْهُ الْجزرةُ ، وَالصَّيَّادِ الَّذِى تَحَدَّثَتْ مَعَهُ السَّمَكَةُ، وَالنَّسَّاجِ الَّذِى نَطَقَ قُمَاشُهُ . وَكَانَ الْجَمِيعُ يرْتَعِدُ فَزَعًا وَرُعْبًا .

قَالَتْ لَهُمُ الْفَتَاةُ أَثْنَاءَ الْجَرْىِ ، وَهِىَ تَلْهَثُ:

– هَيَّا بِنَا إِلَى شَيْخِ الْقَبِيلَةِ .

– وَمَا الَّذِى يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ؟

– يُوجدُ لَنَا حَلاً مَعَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الَّتِى تَتَكَلَّمُ .

– فِكْرَةٌ لا بَأْسَ بِهَا .

انْطَلَقَ الْجَمِيعُ تُجَاهَ مَكَانِ شَيْخِ الْقَبِيلَةِ ، فَوَجَدُوهُ جَالِسًا إِلَى مَقْعَدٍ خَشَبِىٍّ ضَخْمٍ .

قَالَ لَهُ الْفَلاحُ : الْجَزَرَةُ تَكَلَّمَتْ وَ ...

وَقَالَ الصَّيَّادُ : وَالسَّمَكَةُ .

وَقَالَ النَّسَّاجُ : وَقِطْعَةُ الْقُمَاشِ .

وَقَالَتِ الْفَتَاةُ : وَالْمِيَاهُ فِى النَّهْرِ تَكَلَّمَتْ أَيْضًا .

قَالَ شَيْخُ الْقَبيلَة : هَذَا كَلامٌ خُرَافِىٌّ ،أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقْلقُوا النَّاسَ بحكَايَاتكُمُ الْكَاذبَة ، وَتَرْغَبُونَ فِى إِزْعَاجِ السُّلْطَةِ .

– بَلْ لَقَدْ حَدَثَ هَذَا فعْلاً .

– وَنُؤَكِّدُ لَكَ ذَلكَ .

سَمعُوا صَوْتًا يَسْأَلُهُمْ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِأَنْفُسكُمْ هَذه الأَصْوَاتَ ؟

قَالُوا فِى نَفَسٍ وَاحد : نَعَمْ .

– كُلُّ هَذَا لا يَسْتَدْعِى الْخَوْفَ.

– مَاذَا ؟!

– أَهُوَ شَىْءٌ غَرِيبٌ أَنْ يَتحَدَّثَ الْمَقْعَدُ الَّذِى يَجْلسُ عَلَيْه شَيْخُ القَبيلَة ؟

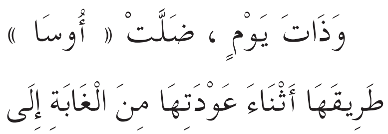
صَرَخَ شَيْخُ الْقَبيلَة : خُذُونى مَعَكُمْ ؛ لنَجْرِىَ كُلُّنَا .. نَحْنُ مَسَاكينُ .. كُلُّ شَىْءٍ فِى هَذَا الْعَصْرِ الْعَجيب وَالزَّمَنِ الْغَرِيب يَتَكَلَّمُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ.

الْفَرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ

عِنْدَمَا يَهْبِطُ اللَّيْلُ وَيَحُلُّ الظَّلامُ ، تَقْعُدُ « أُوسَا » الصَّغِيرَةُ وَهِىَ تَعْقِدُ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا ، وَتَرْتَعِدُ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ ؛ إِذْ تَتَخَيَّلُ الأَشْجَارَ شَيَاطِينَ ، وَتَتَصَوَّرُ الْغَابَةَ مَلِيئَةً بِالْعَفَارِيتِ ، وَهِىَ تَظَلُّ فِى مَكَانِهَا هَذَا دُونَ حَرَكَةٍ ، وَلا تُغَادِرُهُ إِلَى أَنْ تَنَامَ ، وَتَأْتِىَ أُمُّهَا؛ لِكَىْ تَحْمِلَهَا إِلَى فِرَاشِهَا .



أَمَّا بِالنَّهَارِ فَهِىَ « عِفْرِيتَةٌ » صَغِيرَةٌ، وَشَيْطَانَةٌ شُجَاعَةٌ ، تَجْرِى هُنَا وَهُنَاكَ، تَتَسَلَّقُ الأَشْجَارَ ، وَتُمْسِكُ بِالْحَشَرَاتِ، وَتَصْطَادُ الطُّيُورَ، وَتُطَارِدُ الْحَيَوَانَاتِ .



وَذَاتَ يَوْمٍ ، ضَلَّتْ « أُوسَا » طَرِيقَهَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِهَا مِنَ الْغَابَةِ إِلَى الْبَيْتِ، وَلَمْ يُفْلِحِ الْعِقْدُ الأَحْمَرُ الَّذِى أَهْدَتْهُ لَهَا أُمُّهَا فِى أَنْ يَبُثَّ فِى نَفْسِهَا شَيْئًا مِنَ الشَّجَاعَةِ ، أَوْ يُزِيلَ مِنْهَا الْجُبْنَ وَالْخَوْفَ ، وَظَلَّتْ تَسِيرُ بَاحِثَةً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِى يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَعْثُرْ عَلَيْهِ ، وَلَمَحَتْ عَلَى الْبُعْدِ أَضْوَاءً تَنْبَعِثُ مِنْ فَوْقِ شَجَرَةٍ

وَعِنْدَمَا مَضَتْ نَحْوَهَا ، اكْتَشَفَتْ أَنَّهَا زُجَاجَاتٌ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ. قَالَتْ مُتَسَائِلَةً :

– أَتَكُونُ هَذِهِ « شَجَرَةَ الزُّجَاجَاتِ » الَّتِى سَمِعْتُ عَنْهَا ؟

إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا وَعَنْ صَاحِبِهَا الْعَجُوزِ . هَلْ تَجِدُهُ هُنَاكَ وَيَدُلُّهَا عَلَى الطَّرِيقِ ؟

مَضَتْ نَحْوَ الشَّجَرَةِ ، وَإِذَا بِهَا تَلْقَاهُ، وَيَسْتَقْبِلُهَا قَائِلا :

– أَهْلاً يَا « أُوسَا » هَلِ اجْتَذَبَتْكِ الأَضْوَاءُ كَالْفَرَاشَاتِ ؟

سَأَلَتْهُ « أُوسَا » : كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِى ؟

– إِنَّنِى أَعْرِفُ الكَثِيرَ عَنْكِ .

–وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُ أَنَّ لَدَيْكَ أَعْشَابًا تَشْفِى مِنَ الأَمْرَاضِ ، كَمَا أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَفْسِيرِ الأَحْلامِ.

– هَذَا مَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدِينِى فِى فَرْشِ هَذِهِ الأَعْشَابِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجِفَّ ؟

– يَسُرُّنِى ذَلِكَ كَثِيرًا .

أَخَذَتْ « أُوسَا » تُعَاوِنُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَظَلَّتْ تَعْمَلُ طَوِيلاً دُونَ أَنْ تَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَقْطَعُ رِحْلَتَهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ بِسُرْعَةٍ ، وَقَدْ نَسِيَتْ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهَا أَخَذَتْ تَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ مَعَ الرَّجُلِ

العَجُوزِ، وَقَدَّمَ لَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ والشَّرابِ، وَشَعَرَتْ بَعْدَ ذَلكَ بالتَّعَبِ؛ فَجَلَسَتْ لِتَسْتَرِيحَ ، وَإِذَا بِهَا تَغْفُو وَتَنْعَسُ ،فَحَمَلَهَا الْعَجُوزُ إِلَى الْفِرَاشِ . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ قُرْبَ الظُّهْرِ قَالَ لَهَا :

– لَقَدْ أَدَّيْتِ عَمَلَكِ فِى بَرَاعَةٍ ، وَكُنْتِ شُجَاعَةً وَأَنْتِ تَتَسَلَّقِينَ السُّلَّمَ ، وَتُسْنِدِينَهُ إِلَى الأَشْجَارِ ؛ لِقَطْفِ أَوْرَاقِهَا!

– إِنَّنِى شُجَاعَةٌ بِالنَّهَارِ ، رِعْدِيدَةٌ بِاللَّيْلِ .

– أَنَا – أَيْضًا – أَخَافُ الْغَابَةَ لَيْلاً.

– هِىَ تُخْفِى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُزْعِجَةً ؛ إِذْ تَتَجَوَّلُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ وَتُحَمْلِقُ فِىَّ بِعَيْنَيهَا ، وَالشَّرَرُ يَنْبَعِثُ مِنْهُمَا .

ابْتَسَمَ الْعَجُوزُ وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

– هَلْ تَرَيْنَ هَذِهِ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؟



– نَعَمْ ، إنَّهَا جَميلَةٌ جِداً !

– وَصَغيرَةٌ جِداً ، وَمَعَ ذَلكَ فَهِىَ تُحَلِّقُ ، وَتَطِيرُ ، وَلا تَخْشَى السُّقُوطَ وَالْوُقُوعَ عَلَى الأَرْضِ .

تَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا « أُوسَا » وَهِىَ تَقُولُ :

– لا بُدَّ أَنَّ فِيهَا سِراً مَا . أَنَا شَخْصِيًا لَيْسَ عِنْدى جَنَاحَانِ أَطِيرُ بِهِمَا ، وَأَهْرُبُ مِنَ الْخَوْفِ .

– يَجْدُرُ بِكِ أَنْ تَجِدِى سَبِيلاً لِلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ وَمُوَاجَهَتِهِ .

– إِنَّنِى أَتَمَنَّى ذَلِكَ . لَيْتَكَ تُسَاعِدُنِى !

– رَاقِبِيهَا .. تَابِعِيهَا .

جَلَسَتْ « أُوسَا » تَنْفُضُ التُّرَابَ عَنِ الأَعْشَابِ الَّتِى جَفَّتْ ، وَغَفَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَإِذَا بِهَا تَحْلُمُ بِالْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ وَهِىَ تَطِيرُ فِى ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَكَأَنَّمَا يَنْبَعِثُ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَكَأَنَّهَا تَحْمِلُهُ مَعَهَا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا الْفَرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ ؛ تُرِيدُ أَنْ تَسْأَلَهَا عَنْ شَىْءٍ ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لَهَا بَعْضَ كَلِمَاتٍ . وَفِى صَوْتٍ رَقِيقٍ نَاعِمٍ ، هَمَسَتِ الْفَرَاشَةُ : تَعَالَىْ وَرَائِى يَا « أُوسَا » .

– إِلَى أَيْنَ ؟

– سَتَعْرِفِينَ .

مَضَتِ الْفَرَاشَةُ الصَّفْرَاءُ ، وَ « أُوسَا » مِنْ وَرائِهَا ، تَتَعَقَّبُهَا . طَارَتْ فِى طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَهِىَ مِنْ خَلْفِهَا كَأَنَّهَا تُطَارِدُهَا . وَفَجْأَةً أَحَسَّتْ « أُوسَا » بِشَىْءٍ يَجْذِبُهَا مِنْ كَتِفَيْهَا ، وَانْتَابَهَا فَزَعٌ شَدِيدٌ، فَتَلَفَّتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَإِذَا بِغُصْنِ شَجَرَةٍ أَمَامَهَا ، وَفَجْأَةً وَجَدَتْ أَنَّهَا قَدْ فَقَدَت الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ إِذْ اخْتَفَتْ، وَلَمْ تَعْرِف الطَّرِيقَ الَّذى سَلَكَتْهُ ، وَضَاعَ مِنْهَا الضَّوْءُ الَّذى كَانَتْ تَسْتَدِلُّ بِهِ ، وَتَجْرِى عَلَى هُدَاهُ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلا أَنْ قَعَدَتْ عَلَى الأَرْضِ وَعَقَدَتْ يَدَيْهَا حَوْلَ رُكْبَتَيْهَا، وَبَدَأَتْ تَبْكِى . وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَتْ نَفْسَهَا تَرْقُدُ حَيْثُ هِىَ، عَلَى التُّرَابِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ، وَأَحَسَّتْ بِهِ دَافِئًا مُرِيحًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَعَرَتْ أَنَّ شَيْئًا مَا فِى دَاخِلِهَا يَتَغَيَّرُ ، وَتَسَاءَلَتْ :

– مَاذَا يَحْدُثُ لِى ؟

وَجَدَتْ أَنَّ نُقْطَةً مُضِيئَةً قَدْ بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِى دَاخِلِهَا ، وَأَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ تَكْبُرُ وَتَكْبُرُ ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ صَغِيرَةٌ ، مِثْلُ تِلْكَ الَّتِى كَانَتْ

فِى قَلْبِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَأَحَسَّتْ بِنَفْسِهَا خَفِيفَةً لَطِيفَةً قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَطِيرَ فِى الْهَوَاءِ ، وَهِىَ تُحَرِّكُ ذِرَاعَيْهَا، كَأَنَّمَا هُمَا جَنَاحَانِ رَقِيقَانِ ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى أَعْلَى .. إِلَى مَا فَوْقَ الأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ الْعَالِيَةِ، وَلاحَظَتْ أَثْنَاءَ طَيَرَانِهَا أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ حَلَّ ، لَكِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مُظْلِمَةً جِداً، حَيْثُ كَانَتْ « أُوسَا » تَتَصَوَّرُ أَوْ تَتَخَيَّلُ. رَأَتْ نُوراً مُتَنَاثِراً هُنَا وَهُنَاكَ ، وَتَسَلَّلَ بَعْضُ الأَمَانِ وَالاطْمِئْنَانِ إِلَى نَفْسِهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ تَطِيرُ مُحَلِّقَةً .

وَعِنْدَمَا فَتَّحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِى فِرَاشِ الْعَجُوزِ .

هَلْ نَقَلَهَا إِلَيهِ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ تُرَاهَا لَمْ تُغَادِرْهُ ؟

أَيْنَ الْحُلْمُ ؟ وَأَيْنَ الْحَقِيقَةُ فِى كُلِّ مَا رَأَتْهُ ؟ هَلْ هُنَاكَ ـ حَقًا ـ فَرَاشَةٌ صَفْرَاءُ أَمْ أَنَّ الأَمْرَ مُجَرَّدُ خَيَالٍ ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ طَارَتْ فِعْلاً أَمْ أَنَّ الحِكَايَةَ حُلْمٌ طَافَ بِرَأْسِهَا؟

تَطَلَّعَتْ هُنَا وَهُنَاكَ بَاحِثَةً عَنِ الْعَجُوزِ .

مَا أَكْثَرَ مَا تَنَامُ خِلالَ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِّ نَهَاراً ، لِمَاذَا لا تَدَّخِرُ النَّوْمَ إِلَى اللَّيْلِ ؛ لِتَهْرُبَ مِنْ ظَلامِهِ وَمِنَ الْخَوْفِ خِلالَهُ ؟

لَمَحَتْ « أُوسَا » الْعَجُوزَ نَشِيطًا ، مَازَالَ يُواصِلُ عَمَلَهُ فِى جِدٍّ وَاجْتِهَادٍ ، وَأَحَسَّتْ أَنَّهُ إِنْسَانٌ عَظِيمٌ وَطَيِّبٌ ، بَلْ رَائِعٌ ؛ فَغَادَرَتْ

مَكَانَهَا إِلَيْهِ .

سَأَلَهَا : هَلْ رَأَيْتِ أَحْلامًا جَمِيلَةً خِلالَ نَوْمِكِ ؟

– نَعَمْ

وَحَكَتْ لَهُ كُلَّ مَا حَلَمَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْهُ عَنِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ، وَكَيْفَ تَبِعَتْهَا ، ثُمَّ فَقَدَتْ أَثَرَهَا ، وَرَوَتْ لَهُ كَيْفَ أَنَّ دَاخِلَهَا قَدْ أَصْبَحَ مُضِيئًا ، وَأَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ أَنْ تَطِيرَ ، وَأَضَافَتْ :

– قُلْتَ لِى : إِنِّى سَأَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ – أَقْصِدُ ذَاتَ لَيْلَةٍ – شُجَاعَةً.

– نَعَمْ .

– لَقَدْ حَدَثَ .

كَانَ الْعَجُوزُ يَنْظُرُ إِلَى « أُوسَا » وَهِىَ تَسْتَعِدُّ لِتُغَادِرَ الْمَكَانَ إِلَى بَيْتِهَا ، فَقَالَ لَهَا:

– سَوْفَ يَأْتِى اللَّيْلُ وَأَنْتِ عَلَى الطَّرِيقِ .

– فَلْيَأْتِ .. لَسْتُ أَخْشَاهُ .

– وَالظَّلامُ وَالأَشْبَاحُ ؟

– إِنَّنِى كُنْتُ أَخَافُ حِينَ لا يَكُونُ هُنَاكَ نُورٌ مِنْ حَوْلِى ، وَلَكِنَّنِى أَشْعُرُ الآنَ أَنَّ هُنَاكَ نُوراً بِدَاخِلِى .

هَتَفَ : مَاذَا ؟

ـ قُلْتُ لَكَ : إنَّ شَمْسًا نَبَتَتَ بِقَلْبِى ، وَإنَّ نُوراً يَشعُّ مِنْهَا ، لايُضِيءُ مَا بِداخِلِى فَحَسْبُ ، بَلْ وَالطَّرِيقَ أَمَامِى ، وَيُبَدِّدُ الظَّلامَ فِيمَا حَوْلِى .

ـ هَذَا شَيْءٌ رَائِعٌ يَا « أُوسَا » ، أَنْتِ وَأَنَا الآنَ أَصْبَحْنَا أَصْدِقَاءَ، وَأَنْتِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَزُورِينِى حَتَّى فِى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .

ـ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَوْفُ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ مِنْ ضَوْءِ النُّجُومِ وَهِىَ تَنْعَكِسُ عَلَى زُجَاجَاتِ الشَّجَرَةِ وَتَمْلَؤُهَا بِالنُّورِ.

ـ سَأَنْتَظِرُكِ يَا « أُوسَا » .

لَوَّحَتْ « أُوسَا » بِيَدِهَا مُوَدِّعَةً الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَمَضَتْ عَلَى الطَّرِيقِ شُجَاعَةً ثَابِتَةَ الْخُطَا ، لا تَخَافُ أَحَدًا ، وَلا تَخْشَى شَيْئًا . وَكَانَتْ عَيْنَاهَا تَخْتَرِقَانِ الظَّلامَ ، وَالنُّورُ يُطِلُّ مِنْهُمَا ، فَتَخْشَاهَا الْحَيَوَانَاتُ ، وَتَتَفَادَاهَا ،وَتُخْلِى لَهَا الْطَّرِيقَ . وَكَانَ صَوْتُهَا يَرْتَفِعُ ـ أَحْيَانًا ـ بَالْغِنَاءِ ، فَيُؤْنِسُهَا ،وَيُفْرِحُهَا وَيُبْهِجُهَا،وَيَزِيدُهَا شَجَاعَةً عَلَى شَجَاعَتِهَا . وَكَانَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرِ تَنْحَنِى لَهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهَا ، بَلْ إنَّ بَعْضَهَا كَانَ يَنْحَنِى ؛ تَحِيَّةً وَتَقْدِيراً .

وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْبَيتِ وَجَدَتْ أُمَّهَا فِى انْتِظَارِهَا وَهِىَ قَلِقَةٌ، وَمَا إِنْ رَأَتْهَا حَتَّى صَاحَتْ فِيهَا :

– أَيْنَ كُنْتِ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ إِلَى أَنْ حَلَّ الظَّلامُ ؟

– كُنْتُ أُبَدِّدُهُ وَأَهْزِمُهُ ، وَأُسَاعِدُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ عَلَى تَجْفِيفِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَأُطَارِدُ الْفَرَاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ بَحْثًا عَنِ الطَّرِيقِ .

– وَمَاذَا عَنْ خَوْفِكِ مِنَ الظَّلامِ ؟

– الظَّلامُ ؟ أَىُّ شَىْءٍ هُوَ ؟ وَمَا الَّذِى يُخِيفُ فِيهِ ؟

– كُنْتِ تَرْتَعِدِينَ مِنْهُ ؟

– كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ الشَّمْسُ بِدَاخِلِى وَقَبْلَ أَنْ يُشْرِقَ النُّورُ فِى صَدْرِى . لَقَدْ تَعِبْتُ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقُدَ فِى فِرَاشِى .

– أَلَنْ تَقْعُدِى وَتَعْقِدِى ذِرَاعَيْكِ حَوْلَ رُكْبَتَيْكِ ، وَتَنَامِى حَيْثُ أَنْتِ، وَأَحْمِلُكِ إِلَى سَرِيرِكِ؟

– لا . .لا ،سَوْفَ أَمْضِى إِلَيْهِ هَادِئَةً وَفِى عُمْقٍ وَأَنَا مُلْتَحِفَةٌ بِالظَّلامِ !

قصص من أندونيسيا



تَلُّ النَّمْلِ

عَلَى ضَفَّةِ نَهْرٍ فِى سُومَطْرَةَ عَاشَ شَقِيقَانِ .. الأَكْبَرُ اسْمُهُ « ميراه شاجا » يُمَارِسُ العَمَلَ فِى غَيْرِ إِتْقَانٍ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى الكَثِيرِ مِنَ المَالِ ، فِى حِينِ أَنَّ أَخَاهُ « ميراه سيليو » الصَّغِيرَ يَقْضِى وَقْتَهُ فِى صَيْدِ السَّمَكِ ؛ فَمَا كَانَتْ هُنَاكَ مَدْرَسَةٌ لِيلْتَحِقَ بِهَا .. وكَانَ « شاجا » يَسْخَرُ مِنْ أَخِيهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَينَ هِوَايَتِهِ ، بَلْ كَثِيراً مَا كَانَ يُرَدِّدُ :

– لَعَلَّهُ يَصْطَادُ لَنَا سَمَكًا نَأْكُلُهُ ، وَإِذَا نَجَحَ فِى اصْطِيَادِ مَا يَفِيضُ عَنْ حَاجَتِنَا فَسَوفَ نَبِيعُهُ وَنَشْتَرِى ثِيَابًا .



وَلَمْ يَكُن « سيليو » مُوَفَّقًا فِى صَيْدِ السَّمَكِ ، وَفِى كُلِّ مَرَّةٍ يَذْهَبُ إِلَى النَّهْرِ وَيُلْقِى بِشِبَاكِهِ لا يَجِدُ فِيهَا بَعْدَ حِينٍ إِلا بَعْضَ الدِّيدَانِ .. فَلا يَكُونُ مِنْهُ إِلا أَنْ يُعِيدَهَا إِلَى المَاءِ .. وَذَاتَ يَومٍ ، قَرَّرَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَينَ نَفْسِهِ أَنْ يَسْلُقَهَا ، فَوَضَعَهَا فِى إِنَاءٍ ، وَأَوْقَدَ مِنْ تَحْتِهِ النَّارَ ، وَإِذَا بِهِ أَمَامَ مُفَاجَأَةٍ ضَخْمَةٍ ، إِذْ إِنَّها تحَوّلَتْ إِلَى ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ .. وَأَذهَلَهُ الأَمْرُ ، لَكِنَّهُ سَلَقَ كَمِيَّةً أُخْرَى ، وَإِذَا بِهَا هِىَ أَيْضًا تُصْبِحُ ذَهَبًا وَفِضَّةً (إِلَى اليَومِ مَازَالَ هَذَا المكَانُ مِنْ ضَفَّةِ النَّهْرِ، يُسَمِّيهِ النَّاسُ فِى إِنْدُونيسيَا : حَقْلَ الذَّهب) .

وكَانَ « شاجا » يَتجوّلُ هُنَا وَهُنَاكَ ، بَاحِثًا عَنْ عَمَلٍ يَرْتزِقُ مِنْهُ، وَقَدْ تَرامَى إِلَى أُذُنَيهِ أَنَّ شَقِيقَهُ الأَصْغَرَ يَطْبُخُ الدّودَ ، بَلْ تَجاوزَ النَّاسُ فِيمَا قَالُوهُ ، فَادَّعَوا أَنَّهُ يَأْكُلُهُ .. وَغَضِبَ « شاجا » غَضَبًا شَدِيداً، وَرَأَى فِى ذَلِكَ فَضِيحَةً وَعَاراً يَلْحَقُ بِهِمَا ، وَيُسِىءُ إِلَى سُمْعَةِ الأُسرَةِ ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ سَوفَ يُعَاقِبُ أَخَاهُ بِشِدَّةٍ إِذَا مَا ثَبَتَ أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ .



وَسَارعَ النَّاسُ إلى « سيليو » الصَّغيرِ ، وَنَقَلُوا إلَيهِ مَا قَالَهُ شَقِيقُهُ، وَمَا هَدَّدَ بهِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ مِنْ سَبِيلٍ إلا أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ ، وَيَبْتَعِدَ عَنْهُ ، وَجَمَعَ ذَهَبَهُ وَفِضَّتَهُ ، وَجَرَى لِيَخْتَفِىَ وَسْطَ أَدْغَالِ « جيرون » . . وَعِنْدَمَا عَادَ « شاجا » إِلَى البَيتِ لَمْ يَعْثُرْ عَلَى شَقِيقِهِ ، وَكُلُّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَجِدَهُ هُو بَقَايَا قُشُورٍ ذَهَبِيَّةٍ تَرَكَهَا « سيليو » .

بَحَثَ « شَاجا » عَنْ أَخِيهِ فِى كُلِّ مَكَانٍ ، وَسَأَلَ عَنْهُ كُلَّ النَّاسِ، غَيْرَ أَنَّ أَحَداً لَمْ يَرَهُ ، وَمَا عَرفَ إِنْسَانٌ أَيْنَ مَضَى ، وَأَيْنَ يَخْتَبِئُ ، وَعَاتَب « شاجا » نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ تَسَرَّعَ بِإِعْلانِ تَهْدِيدِهِ بعِقَابِ شَقِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَحقَّقَ مِنْ صِدْقِ مَا قَالُوهُ عَنْهُ ، وَشَعَرَ الأَخُ الكَبِيرُ

بِحُزنٍ عَميقٍ وَأَسًى شَدِيدٍ ؛ لأَنَّهُ فَقَدَ شَقِيقَهُ ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ أَيْنَ وَكَيفَ يَعِيشُ هَذَا الصَّغيرُ المِسْكِينُ .

وَكَانتِ الأَدْغَالُ التى لَجأَ إِلَيْهَا « سيليو » وَاسِعَةً شَاسِعَةً ، وَلَيْسَ مِنَ السَّهْلِ البَحْثُ فِيهَا عَنْ إِنْسَانٍ ، خَاصَّةً أَنَّ أَشْجارَهَا كَثِيفَةٌ مُتَشَابِكَةٌ ، وَلَيْسَ مِنَ المِيسُورِ التَّجوُّلُ فِيهَا .. وَلَمَ يَعْرِفْ « سيليو » شَيْئًا عَنْ مُحَاوَلاتِ شَقِيقِه المُضْنِيَةِ الشَّاقّة للبحْثِ عَنْهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ عَنْهُ خَبراً ؛ إِذِ انْقَطَعَتِ الصِّلَةُ بَيْنَهُمَا تَمَامًا مَعَ الأَسَفِ .

وَفِى هَذِهِ الأَدْغَالِ ، عَاشَتْ يَومَئِذٍ بَعْضُ القَبَائِلِ الرُّحَّلِ ، تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ بَحْثًا عَنْ رِزْقِهَا ، وَطَعَامِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ



الطَّعَامُ يَزِيدُ عَلَى أَرْنَبٍ يَصْطَادُونَهُ وَيَشْوُونَهُ، وَأَشْيَاءَ مِنْ هَذَا القَبِيلِ .. وَقَدْ رَأَى « سيليو » أَنَّهُ مِنَ المُمكِنِ أَنْ يَعِيشَ مَعَهُم، وَقَدْ أَحْسَنُوا اسْتِقْبَالَهُ ، وَرَحَّبُوا بِهِ تَرْحِيبًا كَبِيرًا ، خَاصَّةً وَقَدْ وَجَدُوا أَنَّ مَعَهُ مَا يُنْفِقُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ عَالَةً عَلَيْهِم ، وَهُو يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ نَفْسِهِ، بَلْ لَقَدْ رَأَوا فِيهِ شَخْصًا غَنِيًّا ثَرِيًّا ، قَادِرًا عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَ ثِيَابًا أَنِيقَةً، وَأَشْيَاءَ ثَمِينَةً .. وَقَدْ أَصْبَحَ شَخْصًا مُهِمًّا ، لَهُ مَكَانَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ؛ لأَنَّهُ يُكَلِّفُهُمْ بِأَعْمَالٍ يَقُومُونَ بِهَا ، وَيَدْفَعُ لَهُمْ مُقَابِلَهَا مُكَافَآتٍ وَأُجُورًا مَعْقُولَةً وَمَقْبُولَةً .. وَقَدِ اشْتَرَى مِنْهُم كَلْبًا، دَرَّبَهُ عَلَى أَنْ يُعِينَهُ وَيُسَاعِدَهُ عَلَى الصَّيْدِ، وَأَطْلَقَ عَلَيهِ اسْمَ « برساى » .. وَقَدْ أَحَبَّهُ كَثِيرًا ، وَعَامَلَهُ بِلُطْفٍ وَرِقَّةٍ .

وَذَاتَ يَومٍ كَانَ « سيليو » مَعَ « برساى » فِى رِحْلَةِ صَيْدٍ ، وَانْطَلَقَ الكَلْبُ يَجْرِى خَارِجَ الأَدْغَالِ ، وَمِنْ وَرَائِهِ صَاحِبُهُ ، لا يَدْرِى إِلَى أَيْنَ يَمْضِى .. وَوَقَفَ الكَلْبُ عِنْدَ قَاعِدَةِ تَلٍّ ، وَرَاحَ يَنْبَحُ بِصَوتٍ عَالٍ مُتَوَاصِلٍ ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ « سيليو » السِّرَّ فِى ذَلِكَ .. وَبَدأَ « برساى » يَتَسلَّقُ التَّلَّ عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْ صَاحِبِهِ ، الذِى تَتَبَّعَهُ إِلَى أَنْ وَصَلا إِلَى القِمَّةِ .

وَعِنْدَهَا تَوقَّفَ ، وَتَطلَّعَ الفتَى إلَى مَا تَحْتَهُ ، وَإِذَا بِهِ يَجِدُ نَفْسَهُ فِى مَكَانٍ رَائِعٍ ، وَبُقْعَةٍ فَرِيدَةٍ ، تُطِلُّ عَلَى مَنْظَرٍ سَاحِرٍ ، لَمْ يَرَ فِى حَيَاتِهِ أَبْهَى مِنْهُ .. وَظَلَّ وَاقِفًا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، يَدُورُ خِلالَهَا حَوْلَ نَفْسِهِ، يَنْظُرُ إِلَى بَعِيدٍ ، وَيَمُدُّ بَصَرَهُ إِلَى الأُفُقِ ، ثُمَّ يَرْتَدُّ بِهِ عَلَى



مَهَلٍ ، حَتَّى أَسْفَلِ التَّلِّ . . فَعَلَ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنَ التَّطَلُّعِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِى حَيَاتِهِ يَرَى فِيهَا الأُفُقَ دَائِرَةً كَامِلَةً مِنْ حَوْلِهِ .

لَمْ يُغَادِرْ « سيليو » مَكَانَهُ إلا بَعْدَ أَنِ اتَّخَذَ قَرَارًا بِأَنْ يَبْنِىَ لِنَفْسِهِ بَيتًا فِى هَذَا المكَانِ الذى يُشْرِفُ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ تَحْتِهِ ، وَكَانَ لَدَيهِ مِنَ المَالِ مَا يَكْفِيهِ لِذَلِكَ ، وَمَا إِنْ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ حَتَّى رَاحَ يَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الفِكْرَةِ الجميلَةِ التى خَطَرَتْ لَهُ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى « سيليو » مِنْ بِنَاءِ بَيْتِهِ فَوْقَ قِمَّةِ التَّلِّ ، بَدَأَ البَعْضُ يُقَلِّدُونَهُ، وَيَزْحَفُونَ إِلَى السُّفُوحِ الأَقَلِّ ارتِفَاعًا ، لِيَبْنُوا لأَنْفُسِهِم بُيُوتًا مِثْلَ بَيْتِ « سيليو »، الذِى كَانَ فِى وَاقِعِ الأَمْرِ قَصْرًا صَغيراً، وَجميلا مِنَ الدَّاخِلِ ، أَمَّا المنَاظِرُ التِى كَانَ يُطِلُّ عَلَيهَا فَهِىَ غَايَةٌ فِى البَهَاءِ وَالرَّوْعَةِ .

كَثُرَتِ البُيُوتُ والدُّورُ مِنْ حَوْلِ بَيْتِ « سيليو » ، خَاصَّةً أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالمثَلِ الشَّهِيرِ (مَنْ جَاوَرَ السَّعِيدَ يَسْعَدْ) وَهُمْ يَرَوْنَ فِيهِ شَابًّا سَعِيداً بِمَا حَبَاهُ اللّهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، مَا مِنْ أَحَدٍ يَعْرِفُ مَصْدَرَهُمَا .

وَلَمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ ، حَتَّى أَصْبَحَ المَكَانُ مَدِينَةً ، وَكَانَ

« سيليو » أَهَمَّ سُكَّانِهَا ، فَهُوَ يَعِيشُ عِنْدَ القِمَّة ، وَهُوَ أَوّلُ مَنْ فَكَّرَ فِى اسْتِغْلال التَّلِّ ، وَاسْتِثْمَارِه فِى البِنَاء، ثُمَّ إِنَّهُ أَيْضًا أَكْثَرُ أَبْنَاءِ المنْطَقَة ثَرْوَةً وَغِنًى .. كَمَا أَنَّهُ طَيِّبٌ وَكَرِيمٌ ، وَيُحْسِنُ مُعَامَلَةَ النَّاسِ .. وكَانُوا هُمْ أَيْضًا يَعْمَلُونَ بِهِمَّةٍ وَحَمَاسَةٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ مَدِينَتُهُم وَبَلَدُهُم شَيئًا جَمِيلاً وَرَائعًا .وكَانَ مَنْظَرُهُم وَهُمْ يُقِيمُونَ بُيُوتَهُمْ أَشْبَهَ بِجَيشٍ مِنَ النَّمْلِ ، وَذَاتَ يَومٍ صَعِدُوا إِلَيه لِيَسْأَلُوهُ أَنْ يَخْتَارَ لِلمدينَة اسْمًا ، فَمَا وَجَدَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُطْلِقَ عَلَيهَا (سومادرا)، وَهِى تَعْنِى فِى لُغَتِهِمْ (تَلَّ النَّمْلِ العَظِيمَ) ..وَلَقَدْ صَارَتْ (سومادرا) بَلداً غَنِيًّا شَهِيراً .. بِفَضْلِ نَشَاطِ أَبْنَائه .

طائر الرُّخ

كَانَ السُّلْطَانُ وَاسِعَ الشَّأْنِ ، لا يَحْكُمُ أَهْلَ هَذِهِ الجُزُرِ فَقَطْ ، بَلْ إِنَّ سُلْطَانَهُ امْتَدَّ إِلى أَكثرَ مِنْ ذَلك؛ لِذَلكَ عَمَّتْ شُهْرَتُهُ الأَرْضَ .. وَأَوْفَدَ إِلَيه قَيْصرُ رُومَا عَبْرَ آسْيَا رُسُلاً يَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِه الأَمِيرَةِ لابْنِه الشَّابِّ .. وَتَمت المُوَافَقَةُ عَلَى أَنْ تَجْرِى مَرَاسِمُ ذَلِكَ الزَّوَاجِ فِى جُزُرِ جَنُوبِ شَرْقِ آسيَا ، عَلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا الأَمِيرُ فِى أُسْطُولٍ ضَخْمٍ مِنَ السُّفُنِ ، التى يَقُودُهَا « مارونج مها وانجزا » ، وَهُوَ كَبِيرُ قَادَةِ البَحْرِيَّةِ وَأَقْدَرُ رِجَالِهَا وَأَعْظَمُهُمْ .

وَعَمَّ الخَبَرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدُّنْيَا ، وَالبَعْضُ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، وَمُوَافِقٍ وَرَافِضٍ ، وَمُرحِّبٍ وَغَاضِبٍ.. بَعْضُ أَهْلِ الجُزُرِ يَقُولُونَ – فِيمَا بَيْنَهُم وَبَيْن أَنْفُسِهِمْ– :

– لا نُرِيدُ لِهَذَا الزَّوَاجِ أَنْ يَتِمَّ .

وَيَقُولُ آخَرُونَ :

– بَلْ نَرجُو أَنْ يتمَّ لِيَسُودَ السَّلامُ عَالَمنَا .

وَاسْتَعَدَّتْ رُومَا لِسَفَرِ أَميرِهَا ، وَحَشَدَتْ فِى السُّفُنِ كُلَّ مَا هُوَ غَالٍ وَثَمِينٍ مِنَ الهَدَايَا ، كَمَا جُهِّزَ المَرْكَبُ الذى سَوفَ يَسْتَقِلُّهُ



بِكُلِّ أَلْوَانِ الرَّاحَةِ ، إِذْ إِنَّ المَسَافَةَ طَوِيلَةٌ ، وَتَسْتَغْرِقُ شُهُوراً .. كَمَا أَخَذَتْ جَزِيرَةُ السُّلْطَانِ زِينَتَهَا ، وَأَعَدَّتْ نَفْسَهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَقْبِلَ الأَمِيرَ أَجْمَلَ اسْتِقْبَالٍ ، يَلِيقُ بِهِ، فَهُوَ رَجُلٌ سَيَجْلِسُ عَلَى عَرْشٍ يَمْتَدُّ مِنْ أَقْصَى الغَرْبِ إِلَى أَقْصَى الشَّرْقِ .

وكَانَ مَوْقِفُ السُّلْطَانِ غَرِيبًا .. إِنَّهُ يَبْدُو مُسْتَسْلِمًا لِشَيءٍ مَا ، وَهُوَ – عَلَى مَا هُوَ عَلَيهِ مِنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ– لَيْسَ مُوَافِقًا تَمَامًا عَلَى الزَّوَاجِ، وَلَيْسَ رَافِضًا لَهُ .. وَهُوَ يُتَمْتِمُ دَائِمًا بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَسْمُوعَةٍ وَلا مَفْهُومَةٍ، وَلا يُصَارِحُ أَحَدًا بِمَا يَدُورُ فِى نَفْسِهِ وَفِى خَلَدِهِ .. لَكِنَّ الجمِيعَ أَدْرَكُوا أَنَّ الأَمْرَ خَارِجٌ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَأَنَّهُ لا يَمْلِكُ



فِى يَدَيْهِ إِزَاءهُ كَثيراً أَوْ قَليلا .. وكَانَ ذَلِكَ غَرِيبًا عَجِيبًا ، عَلَى مَا لَدَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ تَجاوَزَ بِه الحدُودَ .

كَانَ طَائِرُ «الرُّخِّ » صَدِيقًا أَثِيراً وَمُسْتَشَاراً لِسُلْطَانِ الجُزُرِ .. وكَانَ طَائِراً ضَخْمًا، فِى حَجْمِ أَكْبرِ طَائِرَةٍ فِى زَمَانِنَا هَذَا ، وعِنْدَمَا يُحَلِّقُ فِى السَّمَاءِ كَانَ يَحْجُبُ الشَّمْسَ عَنْ الأَرْضِ ، كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ سَودَاءُ.

وَقَدْ عَاشَ هَذَا الطَّائِرُ وَحْدَهُ فِى جَزِيرَةِ « لانغا » ، وَهُو الاسْمُ القَدِيمُ لجزيرَةِ « سيلان »، التِى كَانَتْ يَومَئذٍ خَالِيةً مِنَ السُّكَّانِ عَلَى أَثَرِ صِرَاعٍ مَرِيرٍ ، وَطَويلٍ ، وَمُدَمِّرٍ ، حَكَتْ عَنْهُ كَثِيراً حِكَاياتٌ

هِنْدِيّةٌ شَهِيرَةٌ اسْمُهَا « رامايانا » .

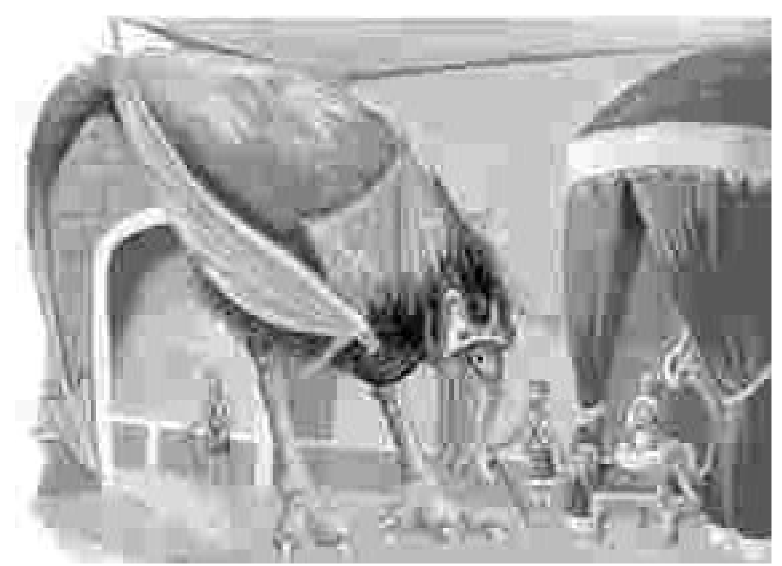
وَذَاتَ يومٍ ، جاءَ الرُّخُّ لِزيَارَةِ سُلطَانِ الجَزِيرَةِ ، وَالتَّحدُّث إِلَيهِ .. وَخِلالَ حَدِيثِهِمَا نَقَلَ الرُّخُّ إِلَى جَلالَتِهِ مَا يَتَنَاقَلُهُ النَّاسُ مِنْ أَخْبَارٍ حَوْلَ خِطْبَةِ ابْنَتِهِ الأَمِيرَةِ إِلَى وَلِى عَهْدِ الإِمْبراطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ .. وَأَعْلَنَ لِلسُّلْطَانِ أَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لا يُرِيدُ أَبَدًا لِهذِهِ الإِمبرَاطُورِيّةِ أَنْ يَمْتَدَّ نُفُوذُهَا إِلَى هَذِهِ البُقْعَةِ الجمِيلَةِ الْحُرَّةِ مِنْ عَالمِنَا ، وَأَضَافَ :

– إِنَّنِى أَسْتَأْذِنُكُم يَا مَولاىَ فِى أَنْ أَسْتَخدِمَ قُوَّتِى وَمَهَارَتِى لِكَى أُوقِفَ هَذَا الأَمْرَ ، وَأَحُولَ بَيْنَهُم وَبَيْنَهُ، حَتَّى يُدرِكَ هَذَا الإِمْبراطُورُ المغْرُورُ أَنَّ فِى دُنْيَانَا قُوًى عَتِيدَةً عَنِيدَةً تَسْتَطِيعُ أَنْ تُواجِهَهُ ، وَتَتحدَّاهُ.. وَثِق – يَا مَوْلاى – أَنَّنِى قَادِرٌ تَمَامًا عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الذِى أَقُولُهُ .

سَكَتَ سُلْطَانُ الجُزُرِ ، وَلَمْ يُبْدِ قَبُولَهُ أَوْ رَفْضَهُ لِما قَالَهُ الرُّخُّ .. غَيْرَ أَنَّهُ كَرّرَ مَا كَانَ دَائِماً يَقُولُهُ وَيُردِّدُهُ.

– لِتَنْفُذْ مَشِيئَةُ اللّه .... وَيَسْكُتُ السُّلْطَانُ قَلِيلاً، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ وَهُوَ يُضِيفُ :– أَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَشَاءُ وَمَا تُرِيدُ .

وَبَدَأ الطَّائِرُ يَصْنَعُ خُطَطَهُ عَلَى هَذَا الأَسَاسِ ، وَطَارَ إِلَى قَصْرِ الأَمِيرَةِ،



يَحْمِلُهُ وَهِيَ بِداخِلِهِ ، وَمَعَهَا وَصِيفَتُهَا ، ويَنْقُلُهُ إِلَى جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ بَعِيدَةٍ ، يَصْعُبُ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَهَا أَوِ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ حَتَّى يَأْمَنَ عَلَيهَا مِنْ وُصُولِ أَمِيرِ رُومَا .. ثُمَّ عَادَ لِكَى يَنْتَظِرَ أُسْطُولَ « مارونج مها وانجازا » وَرِجَالَه المسلّحينَ عِنْدَ جَزِيرَةِ سيلان، وَعِنْدَمَا وَصَلَ رَاحَ يُمْطِرُهُ بِحجَارَةٍ ضَخْمَةٍ وَصُخُورٍكَبِيرةٍ ، تَتَساقَطُ عَلَيهِ بِقوّةٍ وَعُنْفٍ ، فَتَقْتُلُ مَنْ تَقْتُلُ وَتُغْرِقُ مِنَ السُّفُنِ مَا تُغْرِقُ .. وَحَاولَ هَؤُلاءِ دُونَ طَائِلٍ إِطْلاقَ أَسْهُمِهِم عَلَيهِ ، لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ تَصِلَ إِلَيهِ أَوْ تُصِيبَهُ.

كَانَتِ المعْرَكةُ – ما بينَ الرُّخِّ مِنْ جَانِبٍ وَأُسْطُولِ الرُّومِ مِنْ جَانِبٍ

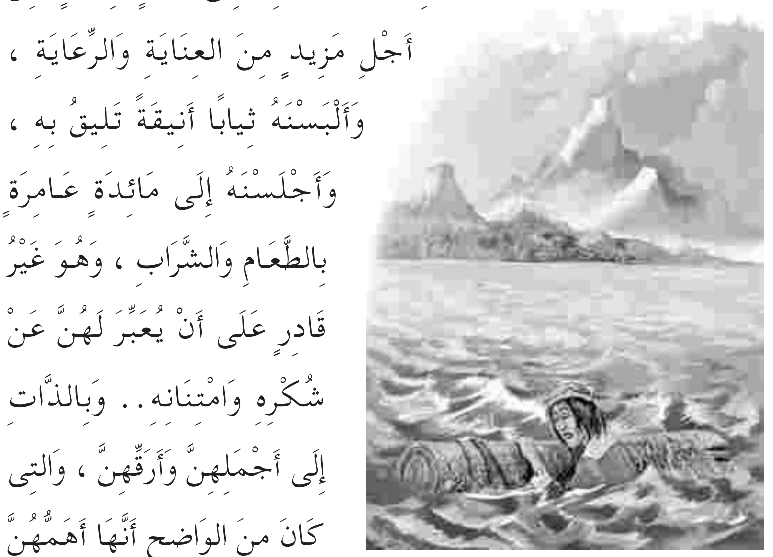
آخَرَ – غَايةً فِى العُنْفِ وَالشَّرَاسَةِ.. السُّفُنُ قَوِيَّةٌ ضَخْمَةٌ ، وَمَا يُسْقِطُ الرُّخُّ فَوْقَهَا مِنْ أَحْجَارٍ وَصُخُورٍ تُحَطِّمُ بَعْضَ أَجْزَائِهَا وَتَقْتُلُ العَدِيدَ مِنْ رِجَالِهَا .. وَاسْتَمرَّ القِتَالُ وَقْتًا طَوِيلا ، حَرَصَ الرُّخُّ فِى بِدَايتِهِ عَلَى أَلا يُهَاجِمَ سَفِينَةَ الأَمِيرِ التِى يَقُودُهَا القُبْطَانُ الشَّهِيرُ ، لَكِنَّ المقَاوَمَةَ امْتدَّتْ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلا أَنْ بَدَأَ يُغِيرُ عَلَيهَا ، وَيُهَاجِمُهَا بِكُلِّ قَسْوةٍ ، وَيُلْقِى فَوْقَها جِبَالاً مِنَ الصُّخُورِ يَقْتَلِعُهَا مِنْ فَوقِ الأَرْضِ ، وَيَقْذِفُ بِهَا مِنَ ارْتِفَاعٍ عَالٍ لِكَى تَنْزِلَ عَلَيْهَا مُدَوِّيَةً مُدَمِّرَةً، إِلَى أَن اسْتَطَاعَ أَنْ يُحَطِّمَهَا ، وَيَجْعَلَهَا تَغُوصُ فِى أَعْمَاقِ المِيَاهِ، حَامِلَةً مَعَهَا الأَمِيرَ .. وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ رَاحَ لِجزيرتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَرِيحَ قَلِيلاً ، قَبْلَ أَنْ يَمْضِىَ إِلَى لِقَاءِ السُّلْطَانِ لِيُعْلِنَهُ الأَمْرَ ،



وَليزفَّ إلَيهِ النَّبَأَ الذى يَرَاهُ سَعيداً ، وَيَنْتَظِرُ عَلَيهِ مُكَافَأَةً سَخيَّةً .

وَعِنْدَمَا غَاصَتْ سَفِينَةُ الأَمِيرِ فِى الماءِ ، قَذَفَ بِنَفْسِهِ بَيْنَ الأَمْوَاجِ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَعْثُرَعَلَى لَوْحٍ مِنَ الخَشَبِ ، رَقَدَ فَوْقَهُ ، وَترَكَ التَّيَّارَ يَحْمِلُه إلَى حَيْثُ يَشَاءُ وَيَرْغَبُ ، إلَى أَنْ قَذَفَ بِهِ إلَى شَطٍّ جَزِيرَةٍ نَائيَةٍ وَهُوَ مُغْمًى عَلَيهِ .. وَبَعْدَ وَقْتٍ مَا أَفَاقَ إلَى نَفْسِهِ ، وَفَتَح عَيْنيهِ، وَإذَا بِهِ يَذهلُ، إذْ لَمْ يَكُنْ حَوْلَه أَكَلَةُ لحومِ البَشَرِ ، أَوْ حَيَوانَاتٌ مُفْتَرِسَةٌ شَرِسَةٌ .. بَلْ كَانَتْ هُنَاكَ فَتَيات رَقِيقَاتٌ جَميلاتٌ يَعْتَنينَ بِهِ وَيرْعَيْنَه فِى شَفَقَةٍ ظَاهِرَةٍ وَعَطْفٍ شَدِيدٍ .

حَمَلَتِ الفَتَيَاتُ الأَميرَ إلَى قَصْرٍ مَنِيفٍ، مِنْ أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ العِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ ، وَأَلْبَسْنَهُ ثِيابًا أَنيقَةً تَلِيقُ بِهِ ، وَأَجْلَسْنَهُ إلَى مَائِدَةٍ عَامِرَةٍ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعَبِّرَ لَهُنَّ عَنْ شُكْرِهِ وَامْتِنَانِهِ .. وَبِالذَّاتِ إِلَى أَجْمَلِهِنَّ وَأَرَقِّهِنَّ ، وَالتى كَانَ مِنَ الوَاضِحِ أَنَّهَا أَهَمُّهُنَّ



شَأْنًا، وَأَنَّ الجَمِيعَ يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهَا، وَأَنَّهَا تَحْظَى مِنْهُنَّ بِالحبِّ وَالطَّاعَة.

وَفَجْأَةً ، ارْتَجَّ المَكَانُ بِكُلِّ مَنْ فِيهِ .

وَوَجَدَ الأَمِيرُ نَفْسَهُ ، وَالفَتَاةَ ، وَمَنْ مَعَهَا مِنْ وَصِيفَاتٍ ، وَالقَصْرَ ذَاتَهُ ، كُلَّ ذَلِكَ وَجَدَهُ مَحْمُولاً عَنِ الأَرْضِ ، يَرْتَفِعُ عَنْهَا ، بَلْ وَيُحَلِّقُ فِى الفَضَاءِ، دُونَ أَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ شَيْئًا .. لَكِنَّ القَصْرَ كَانَ يَسْبَحُ فِى الفَضَاءِ دُونَ عَنَاءٍ أَوْ مَشَقَّةٍ .. وَيَمْضِى كَأَنَّهُ فَوْقَ بِسَاطِ الرِّيحِ ، وَكُلُّ شَىءٍ عَلَى مَا يُرَامُ بَعْدَ الهِزَّةِ الأُولَى ، وَ رُوَيداً .. رُوَيداً بَدَأَ القَصْرُ بِمَنْ فِيهِ يَهْبِطُ بِالسَّلامَةِ .. وَتكرّرتِ الهزَّةُ ، لَكِنَّ كُلَّ شَىءٍ اسْتَقَرَّ فِى مَوْضِعِهِ فِى سُكُونٍ وَهُدُوءٍ ، وَكَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ .. وَتَطَلَّعتِ الفَتَياتُ مِنْ نَوافِذِ القَصْرِ ، وَعُدْنَ سَعِيدَاتٍ بَاسِمَاتٍ ، وَشُعورٌ بِالأَمَانِ وَالاطْمِئنَانِ يَظْهَرُ عَلَى وُجُوهِهِنَّ ، وَانْتَقَلَ إِلَيهِ هَذَا الإِحْسَاسُ.

وَكَانَ خِلالَ ذَلِكَ قَدْ رَوى لَهُنَّ حِكَايَتَهُ ، كَمَا نَقَلْنَ إِلَيهِ حِكَايَتَهِنَّ .. وَسَادَ القَصْرَ لَوْنٌ مِنَ الهُدُوءِ المَشُوبِ بِالحَذَرِ .

أَخَذَ الرُّخُّ قِسْطَهُ مِنَ الرَّاحَةِ فِى جَزِيرَتِهِ ، وَبَعْدَهَا طَارَ إِلَى حَيْثُ صَدِيقُهُ « السُّلطانُ » وَقَالَ لَهُ فِى فَرَحٍ:

ـ هَاأَنَذَا يَا مَوْلاىَ قَدْ حَقَّقْتُ وَأَمْلَيتُ إِرَادَتِى ، فَأَغْرَقْتُ الأَمِيرَ وَسَفِينَتَهُ،

وَلَمْ يَعُدْ زَوَاجُه مِنَ الأَمِيرَةِ مُمْكِنًا.

عَلَتْ وَجْهَ السُّلْطَانِ ابْتِسَامَةٌ بَاهِتَةٌ، ظَنَّهَا الطَّائِرُ رِضًا عَمَّا فَعلَهُ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُؤَكِّدُ ابْتِهَاجَهُ وَفَرَحَهُ، لِذَلِكَ أَضَافَ :

– لَقَدْ نَفَّذْتُ مَا أَشَرْتُمْ بِهِ حِينَ قُلْتُم: « أَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَشَاءُ وَمَا تُرِيدُ ... ».

هُنَا قَالَ السُّلْطَانُ :

– سَوْفَ تَشْهَدُ الآنَ شَيْئًا تَعْرِفُ مِنْهُ مَا خَفِيَ عَلَيكَ !

صَفَّقَ السُّلْطَانُ لِيَأْتِيَ وَاحِدٌ مِنَ الحَاشِيَةِ، أَمَرَهُ بِأنْ يَأْتِيَ بِالأَمِيرَةِ



وَالضَّيْفِ ..دُهِشَ الرُّخُّ ، وَقَالَ لِلسُّلْطَانِ :

– الأَميرَةُ لَيْسَتْ هُنَا ، إِنَّهَا فِى جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ وَكُنْتُ أَنْقُلُ إِلَيْهَا الطَّعَامَ كُلَّ يَومٍ .

رَدَّ السُّلْطَانُ : أَعْرِفُ .. لَكِنَّنِى أَمَرْتُ بِأَنْ تَعُودَ إِلَيْنَا .

– كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ !

– لا تَقُلْ مِثْلَ هَذِهِ العِبَارَةِ مَرَّةً أُخْرَى. لا تَغْتَرَّ بِمَا مَنَحَكَ – سُبْحَانَهُ– مِنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ .

وَدَخَلَتِ الأَمِيرَةُ ، وَبِجَانِبِهَا الأَمِيرُ الشَّابُّ .

فَتحَ الرُّخُّ عَيْنَيهِ فِى ذُهُولٍ .. وَقَالَ السُّلْطَانُ :

– الأَمِيرُ لَمْ يَغْرَقْ لَكِنَّ الأَمْوَاجَ حَمَلَتْهُ إِلَى الجزِيرَةِ نَفْسِهَا التِى أَخْفَيتَ فِيهَا الأَمِيرَةَ .



قصص من السلاف



مَنْ يَفُوزُ : الذَّكَاءُ أَمِ الحَظُّ ؟

ذَاتَ يَوْمٍ الْتَقَى الْحَظُّ بِالذَّكَاءِ عَلَى مَقْعَدٍ وَاحِدٍ، فِى حَدِيقَةٍ، قَالَ الْحَظُّ:

– أَفْسِحْ مَكَانًا لِى .

لَمْ يَكُنِ الذَّكَاءُ عَلَى قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الخِبْرَةِ يَوْمَئِذٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِى مَنْ مِنْهُمَا الَّذِى يَجِبُ أَنْ يُفْسِحَ مَكَانًا لِلآخَرِ، فَرَدَّ قَائِلاً :

– لِمَاذَا أُفْسِحُ لَكَ مَكَانًا ؟ لَسْتَ بِأَفْضَلَ مِنِّى .

رَدَّ الْحَظُّ : الأَفْضَلُ مِنَّا هُوَ مَنْ يُؤَدِّى عَمَلَهُ بِشَكْلٍ أَحْسَنَ. هَيَّا بِنَا نَتَسَابَقْ. هَلْ تَرَى ابْنَ الْفَلاحِ الَّذِى يَحْرُثُ الأَرْضَ هُنَاكَ؟ اُدْخُلْ إِلَيْهِ؛ لِنَرَى إِذَا مَا كَانَ حَالُهُ سَيَنْصَلِحُ بِوَاسِطَتِكَ أَمْ مِنْ خِلالِى أَنَا؟ وَلَسَوْفَ أُعْطِيكَ الْفُرْصَةَ كُلَّمَا الْتَقَيْنَا، وَحَيْثُمَا الْتَقَيْنَا.

وَافَقَ الذَّكَاءُ، وَدَخَلَ عَلَى الْفَوْرِ رَأْسَ ابْنِ الْفَلاحِ.

وَعِنْدَمَا أَحَسَّ ابْنُ الْفَلاحِ أَنَّ الذَّكَاءَ قَدْ دَخَلَ رَأْسَهُ أَخَذَ يُفَكِّرُ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

– لِمَاذَا كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أَمْشِىَ وَرَاءَ الْمِحْرَاثِ عَلَى مَدَى عُمْرِى

كُلِّه؟ إنَّهُ لَمِنَ الْجَدِيرِ بِى أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ بَاحِثًا عَنْ حَالٍ أَفْضَلَ وَثَرْوَةٍ أَكْبَرَ مِنْ خِلالِ طَرِيقٍ أَسْرَعَ وَأَيْسَرَ.



كَفَّ ابْنُ الْفَلاحِ عَنْ عَمَلِهِ، وَتَرَكَ مِحْرَاثَهُ وَمَضَى إِلَى أَبِيهِ قَائِلا:

– أَنَا لا أُحِبُّ حَيَاةَ الْفَلاحِينَ، أُرِيدُ أَنْ أُصْبِحَ بُسْتَانِيًّا.

قَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَاذَا حَدَثَ لَكَ يَا فَانِيكُ؟ هَلْ فَقَدْتَ عَقْلَكَ ؟

– هَذَا هُوَ مَا أَرْغَبُ فِيهِ يَا أَبِى.

– إِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَكَ أَنْ تَتَدَرَّبَ، وَاللَّهُ مَعَكَ، لَكِنَّ أَخَاكَ



الأَصْغَرَ سَيَأْخُذُ مَكَانَكَ فِى الْحَقْلِ وَسَيَرِثُ عَنِّى الْكُوخَ !

وَهَكَذَا فَقَدَ فَانِيكُ الْكُوخَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ بِذَلِكَ، وَمَضَى لِيَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ مُسَاعِداً لِبُسْتَانِىِّ حَدِيقَةِ الْمَلِكِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ كُلَّ شَىْءٍ، وَلَمْ يَبْخَلْ عَلَيهِ الرَّجُلُ بِخِبْرَتِهِ الَّتِى اكْتَسَبَهَا مِنْ عَمَلِهِ فِى مِهْنَتِهِ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَلَكِنْ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ بَدَأَ فَانِيكُ يَخْرُجُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيُنَفِّذُ مَا يَرَاهُ صَحِيحًا وَسَلِيمًا مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِ الْخَاصَّةِ.

وَفِى الْبِدَايَةِ غَضِبَ الْبُسْتَانِىُّ، لَكِنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى كُلَّ شَىْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ، وَأَنَّ الأُمُورَ تَسِيرُ إِلَى الأَفْضَلِ بَدَأَ يَهْدَأُ، وَيُحِسُّ بِالرِّضَا، وَقَالَ لَهُ :

– إِنَّنِى أَرَاكَ – وَبِحَقٍّ – أَكْثَرَ مِنِّى ذَكَاءً.



وَعَلَى ذَلِكَ تَرَكَ الْبُسْتَانِىُّ الحَدِيقَةَ لِفَانِيكَ، يَصْنَعُ بِهَا مَا يَشَاءُ، وَقَدِ اسْتَطَاعَ فِعْلا أَنْ يَجْعَلَهَا أَبْهَى وَأَجْمَلَ، وَقَدْ لاحَظَ الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَارَ يَنْزِلُ إِلَيْهَا لِيَتَمَشَّى فِيهَا مَعَ الْمَلِكَةِ، وَمَعَ ابْنَتِهِ الْوَحِيدَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِى كَانَتْ فِى الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ

مِنْ عُمُرِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا فَجْأَةً أَمْسَكَتْ عَنِ الكَلامِ، وَمَا عَادَ أَحَدٌ يَسْمَعُ مِنْهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً.

وَشَعَرَ الْمَلِكُ بِالْحُزْنِ الشَّدِيدِ؛ بِسَبَبِ هَذَا، وَأَعْلَنَ فِى كُلِّ أَرْجَاءِ الْمَمْلَكَةِ أَنَّ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِيدَ إِلَى ابْنَتِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى النُّطْقِ وَالْكَلامِ، فَسَوْفَ تُصْبِحُ زَوْجَةً لَهُ.

بَادَرَ الأُمَرَاءُ وَالشَّبَابُ بِبَذْلِ كُلِّ مُحَاوَلاتِهِمْ مِنْ أَجْلِ إِعَادَةِ الأَمِيرَةِ إِلَى دُنْيَا الْحَدِيثِ وَالْكَلامِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فَشِلُوا وَاحِداً بَعْدَ الآخَرِ. عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ فَانِيكُ لِنَفْسِهِ:

ـ لِمَاذَا لا أُجَرِّبُ حَظِّى؟ مَنْ يَدْرِى؛ فَقَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْظَى مِنْهَا بِجَوَابٍ عَنْ سُؤَالٍ أَطْرَحُهُ عَلَيْهَا.

وَفِى التَّوِّ سَعَى إِلَى مَنْ يُعْلِنُ قُدُومَهُ لِيُحَاوِلَ أَدَاءَ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ الصَّعْبَةِ، فَاقْتَادُوهُ إِلَى غُرْفَةِ الأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ الصَّامِتَةِ.

وَكَانَ لِلأَمِيرَةِ كَلْبٌ صَغِيرٌ لَطِيفٌ، تُحِبُّهُ كُلَّ الْحُبِّ، وَتَرْعَاهُ رِعَايَةً كَامِلَةً؛ لأَنَّهُ كَانَ غَايَةً فِى الْمَهَارَةِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ مَا تَرْغَبُ فِيهِ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ.

وَعِنْدَمَا دَخَلَ فَانِيكُ عَلَيْهَا، مَعَ الْمَلِكِ وَمُسْتَشَارِيهِ، تَعَمَّدَ أَنْ

يَبْدُوَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَرَهَا عَلَى الإطْلاقِ، بَلْ أَغْفَلَهَا تَمَامًا، وَأَبْدَى اهْتِمَامَهُ الشَّدِيدَ بِالْكَلْبِ الصَّغِيرِ، وَقَالَ:

– لَقَدْ سَمِعْتُ، أَيُّهَا الْجَرْوُ اللَّطِيفُ أَنَّكَ فِى مُنْتَهَى الْمَهَارَةِ. وَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ طَالِبًا النَّصِيحَةَ. إِنَّنَا أَصْدِقَاءُ ثَلاثَةٌ، كُنَّا نَقُومُ بِرِحْلَةٍ: وَاحِدٌ مِنَّا نَحَّاتٌ، وَالثَّانِى خَيَّاطٌ، وَأَنَا ثَالِثُهُمْ. وَبَيْنَمَا نَجْتَازُ إِحْدَى الْغَابَاتِ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَبِيتَ حَيْثُ نَحْنُ. وَمِنْ أَجْلِ سَلامَتِنَا وَأَمْنِنَا أَوْقَدْنَا نَارًا، وَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ نَتَبَادَلَ الْحِرَاسَةَ فِيمَا بَيْنَنَا. وَقَدْ بَدَأْنَا بِصَدِيقِنَا «النَّحَّاتِ» الَّذِى أَرَادَ أَنْ يُسَلِّىَ نَفْسَهُ.



– مَاذَا أَرَى ؟

قَالَ : مُجَرَّدُ دُمْيَةٍ، نَحَتَهَا صَدِيقُنَا عِنْدَمَا شَعَرَ بِوَطْأَةِ مُرُورِ الْوَقْتِ عَلَيْهِ، وَهُوَ وَحِيدٌ يَحْرُسُنَا، وَرَأَيْتُ أَنْ أُسَلِّيَ نَفْسِى أَنَا أَيْضًا، وَقُمْتُ بِخِيَاطَةِ ثِيَابٍ لَهَا، وَإِذَا مَا شَعَرْتَ بِالْمَلَلِ وَالْوَحْدَةِ أَثْنَاءَ قِيَامِكَ بِالْحِرَاسَةِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُدَرِّبَهَا عَلَى الْكَلامِ. وَمَعَ طُلُوعِ الصُّبْحِ كُنْتُ فِعْلا قَدْ عَلَّمْتُهَا كَيْفَ تَنْطِقُ، وَتَتَحَدَّثُ. وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَا، دَبَّ الْخِلافُ فِيمَا بَيْنَنَا : مَنْ مِنَّا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهَا وَيَلْعَبَ مَعَهَا؟

وَأَخَذْنَا نَتَجَادَلُ؛ النَّحَّاتُ يَقُولُ : أَنَا صَنَعْتُهَا ، وَالْخَيَّاطُ يَرُدّ : وَأَنَا كَسَوْتُهَا، وَأَنَا أَصِيحُ : وَأَنَا عَلَّمْتُهَا الْكَلامَ. قُلْ لَنا أَيُّهَا الْجَرْوُ الْعَزِيزُ، مَنْ يَكُونُ مَالِكَهَا ؟

وَسَادَ الصَّمْتُ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْكَلْبُ الصَّغِيرُ عَلَى السُّؤَالِ بِالطَّبْعِ، غَيْرَ أَنَّ الأَمِيرَةَ قَالَتْ:

– إِنَّهَا لَكَ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِكَ. مَا قِيمَةُ أَنْ يَصْنَعَهَا النَّحَّاتُ مَا دَامَتْ مُجَرَّدَ قِطْعَةِ خَشَبٍ؟ وَمَا جَدْوَى الثِّيَابِ الَّتِى خَاطَهَا لَهَا الْخَيَّاطُ، مَا دَامَتْ دُمْيَةً صَمَّاءَ؟ إِنَّكَ أَنْتَ الَّذِى أَهْدَيْتَهَا مَا يَجْعَلُهَا ذَاتَ قِيمَةٍ حَقِيقِيَّةٍ؛ لأَنَّكَ مَنَحْتَهَا الْكَلِمَاتِ.

قَالَ فَانيكُ : هَا أَنْتِ قَدِ اعْتَرَفْتِ بِأَنَّكِ لِى زَوْجَةٌ.

عَقَّبَ الْمُسْتَشَارُونَ: لا .. لا .. هَذَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ؛ فَأَنْتَ مِنْ طَبَقةٍ مُتَوَاضِعَةٍ، وَسَوْفَ يُقَدِّمُ إِلَيْكَ جَلالَةُ الْمَلِكِ مُكَافَأَةً مَالِيَّةً ضَخْمَةً فِى مُقَابِلِ هَذَا الَّذِى قُمْتَ بِهِ.

وَقَالَ الْمَلِكُ : نَعَمْ، هَذَا هُوَ مَا سَنَفْعَلُهُ.

قَالَ فَانيكُ : لَقَدْ أَعْلَنَ جَلالَةُ الْمَلِكِ أَنَّ مَنْ يَشْفِى الأَمِيرَةَ، فَهِىَ عَرُوسُهُ وَزَوْجَتُهُ، وَلَنْ أَقْبَلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَلِمَةُ الْمَلِكِ قَانُونٌ يَجِبُ أَنْ يُنَفَّذَ، وَإِذَا مَا كَانَ جَلالَتُهُ يَرْغَبُ فِى تَنْفِيذِ الْقَوَانِينَ، فَالْجَدِيرُ بِهِ أَنْ يُطَبِّقَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِهِ، وَيَجِبُ أَنْ يُعْطِيَنِى إِيَّاهَا.

قَالَ الْمُسْتَشَارُونَ : سَوْفَ يُقْبَضُ عَلَيكَ، وَتُوضَعُ فِى السِّجْنِ، كَيْفَ يَخْطِرُ بِبَالِكَ أَنْ يُسِىءَ جَلالَتُهُ إِلَى نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ الْعَرِيقَةِ؟ إِنَّ مَوْلانَا يَجِبُ أَن يُصْدِرَ أَمْرًا بِاسْتِدْعَاءِ السَّيَّافِ.

وَعِنْدَمَا حَانَتِ اللَّحْظَةُ الْفَاصِلَةُ، وَجَاءَ السَّيَّافُ فِعْلاً، وَفِى يَدِهِ السَّيْفُ الْبَاتِرُ الْقَاطِعُ يَلمَعُ، كَانَ الْحَظُّ قَدْ قَدِمَ أَيْضًا، وبِحُضُورِهِ كَانَتْ تَنْتَظِرُ الْجَمِيعَ مُفَاجَأَةٌ ضَخْمَةٌ؛ لَقَدِ انْكَسَرَ السَّيْفُ، وَتَنَاثَرَ

هُنَا وَهُنَاكَ قِطَعًا صَغِيرَةً،وَقَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِسَيْفٍ آخَرَ كَانَ هُنَاكَ قَارِعُ طَبْلٍ يَدُقُّهُ، وَهُوَ يَقُودُ حِصَانَهُ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ ، وَكَأَنَّهُ طَائِرٌ فِى السَّمَاءِ مَعَ الرِّيَاحِ، وَأَعْلَنَ أَنَّ عَرَبَةً مَلَكِيَّةً فِى انْتِظَارِ فَانِيكَ !

كَيْفَ حَدَثَ هَذَا ؟

عِنْدَمَا عَادَتِ الأَمِيرَةُ إِلَى القَصْرِ مَعَ أَبِيهَا ، قَالَتْ لَهُ :

يَا أَبِى، إِنَّ فَانِيكَ قَالَ الصِّدْقَ، وَنَطَقَ بِالحَقِيقَةِ . كَلِمَةُ الْمَلِكِ يَجِبُ أَلا تُرَدَّ، بَلْ يَجْدُرُ بِالْجَمِيعِ أَنْ يُنَفِّذُوهَا، وَفِى مَقْدُورِكَ يَا أَبِى أَنْ تُصْدِرَ مَرْسُومًا بِجَعْلِهِ أَمِيرًا !



اسْتَجَابَ الأَبُ لِكَلِمَاتِ ابْنَتِهِ، وَأَمَرَ بِإِرْسَالِ العَرَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ؛ لِتَأْتِىَ بِالأَمِيرِ فَانِيكَ، كَمَا طَلَبَ مِنَ السَّيَّافِ أَنْ يَقْتُلَ الْمُسْتَشَارِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَقِفُوا فِى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالعَدْلِ.

وَكَانَ الذَّكَاءُ يَقِفُ فِى الطَّرِيقِ الَّذِى مَرَّتْ بِهِ الْعَرَبَةُ تَحْمِلُ الْعَرُوسَيْنِ السَّعِيدَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَةِ الذَّكَاءِ أَنْ يَلْتَقِىَ مَعَ الْحَظِّ فِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَاكْتَفَى بِأَنْ أَحْنَى رَأْسَهُ، وَاخْتَفَى بَيْنَ جَمَاهِيرِ النَّاسِ الَّتِى وَقَفَتْ عَلَى جَانِبَى الطَّرِيقِ، كَانَ يَبْدُو كَأَنَّمَا سُكِبَتْ عَلَى رَأْسِهِ قِرْبَةُ مَاءٍ بَارِدٍ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُولُونَ : إِنَّ الذَّكَاءَ كَانَ دَائِمًا يُفْسِحُ لِلْحَظِّ مَكَانًا وَاسِعًا وَكَبِيرًا، كُلَّمَا الْتَقَيَا!



كَيْفَ فَشِلَ الْعَمَلُ ؟

عَاشَ حَمَلٌ وَجَدْىٌ عَلَى سَفْحِ جَبَلٍ، يَأْكُلانِ مِنْ عُشْبِهِ الأَخْضَرِ الطَّازَجِ الْمُبَلَّلِ بِقَطَرَاتِ النَّدَى ، وَيَشْرَبَانِ مِنْ نَبْعِ مِيَاهٍ صَافٍ رَائِقٍ، وَيَتَجَوَّلانِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَذَاتَ صَبَاحٍ جَمِيلٍ الْتَقَيَا.



قَالَ الْحَمَلُ : إِنَّنِى أَشْعُرُ بِالْمَلَلِ !



وَقَالَ الْجَدْىُ : وَأَنَا أُحِسُّ بِالسَّأَمِ !!

– كَيْفَ نَعِيشُ هَكَذَا، بِدُونِ عَمَلٍ؟!

– لَقَدْ ضِقْتُ بِحَيَاةِ الْبَطَالَةِ !

– لابُدَّ لَنَا مِنْ مِهْنَةٍ نَرْتَزِقُ مِنْهَا.

– عَلَيْنَا أَنْ نُفَكِّرَ وَنَقْدَحَ أَذْهَانَنَا.

أَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَتَمَشَّى، وَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ سَاطِعَةً دَافِئَةً.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَالَ الْحَمَلُ :

– أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ لِلسُّوقِ فُرْنًا صَغِيرًا، وَأَشْوِىَ لِزَبَائِنِى بَعْضَ «الْبَطَاطَا» الْحُلْوَةِ.

– فِكْرَةٌ لَطِيفَةٌ.

– مَاذَا تَنْوِى أَنْتَ ؟

– سَوْفَ أَخْبِزُ «كَعْكًا» لَذِيذًا وَأَبِيعُهُ.

– جَمِيلٌ ! وَعَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ عَلَى الْفَوْرِ.

– سَنَجْنِى أَرْبَاحًا كَثِيرَةً.

– وَنُصْبِحُ مِنَ الأَثْرِيَاءِ !

مَعَ أَوَّلِ ضَوْءٍ مِنَ النَّهَارِ، حَمَلَ كُلٌّ مِنَ الْحَمَلِ وَالْجَدْىِ بِضَاعَتَهُ وَمَضَى مُبَكِّرًا إِلَى السُّوقِ، وَالْجَوُّ بَارِدٌ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ سَبَقَهُمَا أَحَدٌ إِلَيْهِ، وَاخْتَارَا مَكَانَيْنِ مُنَاسِبَيْنِ، وَوَقَفَا يَسْتَعِدَّانِ لاسْتِقْبَالِ الزَّبَائِنِ.

بَعْدَ قَلِيلٍ شَعَرَ الْجَدْىُ بِالْبَرْدِ، وَرَأَى أَنْ يَتَّجِهَ نَحْوَ صَدِيقِهِ الْحَمَلِ؛ لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْ نَارِ الْفُرْنِ، وَسَأَلَهُ :

– كَيْفَ الْحَالُ ؟

– حَسَنٌ .

– بِكَمْ تَبِيعُ الْوَاحِدَةَ ؟

– مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ : بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ .. نَسْتَفْتِحُ عَمَلَنَا !

– كَانَ الْجَدْىُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ يَسْأَلُ، لا أَكْثَرَ وَلا أَقَلَّ، وَيَوَدُّ

أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ تَسِيرُ الأُمُورُ، غَيْرَ أَنَّهُ فَجْأَةً غَيَّرَ رَأْيَهُ، وَدَفَعَ بِالدِّرْهَمِ الْوَحِيدِ الَّذِى مَعَهُ إِلَى الْحَمَلِ، وَانْتَقَى أَكْبَرَ قِطْعَةٍ، وَالْبُخَارُ يَتَصَاعَدُ مِنْهَا ، وَأَمْسَكَ بِهَا وَأَخَذَ يَلْتَهِمُهَا بِاسْتِمْتَاعٍ، وَهُوَ يَمْضِى فِى خُطُوَاتٍ بَطِيئَةٍ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ الْكَعْكَ، وَقَدْ غَطَّاهُ بِقُمَاشَةٍ بَيْضَاءَ نَظِيفَةٍ، وَمَضَى بَعْضُ الْوَقْتِ، وَلَمْ يَصِلِ الزَّبَائِنُ إِلَى السُّوقِ بَعْدُ، وَرَأَى الْحَمَلُ أَنْ يَرُدَّ الزِّيَارَةَ لِصَدِيقِهِ الْجَدْىِ، وَلِيَطْمَئِنَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ يَمْضِى عَلَى مَا يُرَامُ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ. تَطَلَّعَ الْحَمَلُ إِلَى الْكَعْكِ الَّذِى أَتَى بِهِ الْجَدْىُ إِلَى السُّوقِ، وَرَفَعَ عَنْهُ الْغِطَاءَ ، فَظَهَرَ شَهِيًّا، وَعِنْدَهَا سَالَ لُعَابُهُ وَسَأَلَ:



- بِكَمْ تَبِيعُ الْكَعْكَةَ ؟

- لَكَ أَنْتَ، بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ.

قَدَّمَ الْجَدْىُ الدِّرْهَمَ الْوَحِيدَ الَّذِى بَاعَ بِهِ قِطْعَةَ «الْبَطَاطَا» لِصَدِيقِهِ الْجَدْىِ، وَامْتَدَّتْ يَدُهُ، وَاخْتَارَ

كَعْكَةً ، أَخَذَهَا وَعَادَ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَقِفُ مُنْتَظِرًا قُدُومَ الزَّبَائِنِ الَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا بَعْدُ، وَأَكَلَ الْكَعْكَةَ.

وَقَالَ الْجَدْيُ لِنَفْسِهِ : يَبْدُو أَنَّ الأُمُورَ سَتَسِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ. وَلَمَّا مَضَى إِلَى السُّوقِ مُبَكِّرًا قَبْلَ أَنْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَ الإِفْطَارِ؛ فَإِنَّهُ أَحَسَّ بِالْجُوعِ، وَلَمْ تَكْفِ قِطْعَةُ «البَطَاطَا» لإِشْبَاعِهِ؛ فَسَارَ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ صَدِيقُهُ الْحَمَلُ أَمَامَ الْفُرْنِ، وَقَالَ لَهُ :

– أَعْجَبَتْنِي «الْبَطَاطَا» كَثِيرًا، أُرِيدُ قِطْعَةً أُخْرَى .

– تَفَضَّلْ.

– وَهَا هُوَ ثَمَنُهَا : الدِّرْهَمُ.

أَخَذَ الْحَمَلُ الدِّرْهَمَ، فِي حِينِ تَنَاوَلَ الْجَدْيُ قِطْعَةَ «الْبَطَاطَا»، وَأَكَلَهَا خِلالَ رِحْلَةِ الْعَوْدَةِ إِلَى مَكَانِهِ مِنْ وَرَاءِ الْكَعْكِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ



قَالَ الْحَمَلُ لِنَفْسِهِ :

مَا أَلَذَّ كَعْكَ صَدِيقِى !

مَرَّت لَحَظَاتٌ قَصِيرَةٌ، وَبَعْدَهَا سَارَ الْحَمَلُ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ الْجَدْىُ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ بِالدِّرْهَمِ، وَأَخَذَ كَعْكَةً.



وَتَبَادَلَ الصَّدِيقَانِ الرِّحْلَةَ : كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى الآخَرِ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ أَىُّ مَخْلُوقٍ إِلَى السُّوقِ، وَانْتَهَى بِهِمَا الأَمْرُ إِلَى بَيْعِ مَا صَنَعَا مِنَ الْبَطَاطَا وَالْكَعْكِ، وَاسْتَعَدَّا لِمُغَادَرَةِ السُّوقِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ:

– أَيْنَ ثَمَنُ مَا بِعْنَاهُ، وَمَا الَّذِى رَبِحْنَاهُ ؟

وَاضِحٌ أَنَّنَا لَمْ نَكْسِبْ شَيْئًا؛ لأَنَّنَا أَكَلْنَا كُلَّ شَىْءٍ.

أَلَيسَ غَرِيبًا أَنْ يَفْشَلَ الْعَمَلُ ؟!

كَانَا يَهُزَّانِ رَأْسَيْهِمَا، بَعْدَ كُلِّ سُؤَالٍ ، وَعقِبَ كُلِّ عِبَارَةٍ.

قَالَ الْحَمَلُ : لَكِنَّنَا اسْتَمْتَعْنَا بِالْعَمَلِ !

وَقَالَ الْجَدْيُ : وَشَبِعْنَا مِنَ الطَّعَامِ !

وَأَمْسَكَ بِلِحْيَتِهِ الصَّغِيرَةِ، وَأَضَافَ :

– يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ أَفْضَلَ !

عَقَّبَ الْحَمَلُ : وَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَلا نَلْتَهِمَ رَأْسَ الْمَالِ.

قَالَ الجَدْيُ : لِنُصْبِحَ بِحَقٍّ مِنْ رِجَالِ الأَعْمَالِ!



حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ



يُحْكَى أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مُزَارِعٌ ثَرِىٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَفُوزَ فِى كُلِّ صَفْقَةٍ يَدْخُلُ فِيهَا بِنَصِيبِ الأَسَدِ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يُسَاوِمَ بِاسْتِمْرَارٍ فِى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ. وَقَدْ وَعَدَ رَاعِيًا عِنْدَهُ بِأَنْ يُعطِيَهُ عِجْلاً صَغِيراً فِى مُقَابِلِ عَمَلِه عِنْدَهُ. وَلَمَّا حَلَّ مَوعِدُ تَنْفِيذِ هَذَا الْوَعْدِ، رَفَضَ الْمُزَارِعُ إِعْطَاءَهُ الْعِجْلَ، وَاضطُرَّ الرَّاعِى إِلَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَى عُمْدَةِ الْبَلْدَةِ؛ يَشْكُو إِلَيْهِ الأَمْرَ.

وَكَانَ الْعُمْدَةُ شَابًّا صَغِيراً، تَوَلَّى مَنْصِبَهُ مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ خِبْرَةٌ كَافِيَةٌ فِى حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكِلاتِ وَعِنْدَمَا اسْتَمَعَ إِلَى الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْكُمَ فِى القَضِيَّةِ، أَوْ يَبِتَّ فِى الأَمْرِ لِصَاحِبِ الْحَقِّ؛ لِذَلِكَ قَالَ :

سَوْفَ أَطْرَحُ عَلَيْكُمْ لُغْزًا، وَمَنْ مِنْكُمَا يُقَدِّمُ الْجَوَابَ الأَصَحَّ وَالأَصْلَحَ، يَكُونُ الْعِجْلُ لَهُ. هَلْ تُوَافِقَانِ؟

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْمُتَنَازِعَيْنِ غَيْرُ قَبُولِ هَذَا الْحُكْمِ الْعَجِيبِ، وَالاقْتِرَاحِ الْغَرِيبِ، فَقَالَ الْعُمْدَةُ : هَذَا هُوَ اللُّغْزُ: مَا هُوَ أَسْرَعُ شَىْءٍ فِى الدُّنْيَا؟ وَمَا أَحْلَى مَا فِيهَا ؟ وَمَا هُوَ أَكْثَرُهَا غِنًى وَثَرَاءً ؟

عَادَ الْمُزَارِعُ إِلَى بَيْتِهِ غَاضِبًا، يَقُولُ لِنَفْسِهِ :

مَا هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ الَّذِى لا يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْضِى بَيْنَ النَّاسِ؟ لَوْ أَنَّهُ حَكَمَ لِصَالِحِى لأَهْدَيْتُهُ سَلَّةً مِنَ الْكُمَّثْرَى، أَمَّا الآنَ فَإِنَّنِى مُقْدِمٌ عَلَى فَقْدِ هَذَا الْعِجْلِ؛ لأَنَّنِى لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَحِلَّ هَذَا اللُّغْزَ الْغَبِىَّ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى دَارِهِ، سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ:

أَرَاكَ مُتَجَهِّمًا حَزِينًا ، مَاذَا بِكَ ؟





– هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ.

إنَّهُ جَدِيدٌ عَلَى مَنْصِبِهِ، لَوْ أَنَّ الْعُمْدَةَ الْقَدِيمَ كَانَ مَكَانَهُ لأَعْطَانِى الْعِجْلَ بِلا مُنَاقَشَةٍ، أَمَّا صَاحِبُنَا هَذَا فَإِنَّهُ يَسْتَخْدِمُ الأَلْغَازَ فِى حَلِّ الْقَضَايَا الَّتِى تُوَاجِهُهُ وَالْمُشْكِلاتِ الَّتِى تَعْتَرِضُهُ.

وَعِنْدَمَا سَمِعَتِ الزَّوْجَةُ اللُّغْزَ، ابْتَسَمَتْ ، وَقَالَتْ :

– لا تَنْزَعِجْ ، وَلا تَقْلَقْ يَا زَوْجِى الْعَزِيزَ. إنَّ لَدَىَّ الْحَلَّ.

– حَقًّا ؟

– إنَّ أَسْرَعَ شَىْءٍ فِى الدُّنْيَا هُوَ حِصَانُنَا، الَّذِى يُسَابِقُ الرِّيحَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أَمَّا أَحْلَى شَىْءٍ فَهُوَ الْعَسَلُ الَّذِى نَأْخُذُهُ مِنْ خَلايَا النَّحْلِ الَّذِى نُرَبِّيهِ، هَلْ أَنْتَ مَعِىَ؟

أَمَّا أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ غِنًى فَهُوَ خِزَانَتُنَا الَّتِى تَمْتَلِئُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ

وَالْمُجَوْهَرَاتِ، إِنَّنِى عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ.

فَرِحَ الْمُزَارِعُ ، وَظَهَرَتِ الْفَرْحَةُ عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِهِ، وَقَالَ :

شُكْرًا لَكِ يَا زَوْجَتِى الْعَزِيزَةَ، لا شَكَّ أَنَّ مُحَاوَلَتَكِ حَلَّ اللُّغْزِ صَحِيحَةٌ وَسَلِيمَةٌ، وَسَوْفَ نَسْتَرِدُّ هَذَا الْعِجْلَ، وَلَنْ يَذْهَبَ أَبَدًا إِلَى ذَلِكَ الرَّاعِى الطَّمَّاعِ الطَّمُوحِ.

وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِى إِلَى بَيْتِهِ كَانَ حَزِينًا،مُقَطَّبَ الْوَجْهِ، يَتَنَهَّدُ، وَيَزْفِرُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ ابْنَتُهُ الْجَمِيلَةُ الذَّكِيَّةُ عِنْدَ الْبَابِ، وَتَعَلَّقَتْ بِرَقَبَتِهِ تُقَبِّلُهُ، وَتَسْأَلُهُ عَمَّا بِهِ :

مَاذَا هُنَالِكَ يَا أَبِى ؟ وَمَاذَا قَالَ الْعُمْدَةُ؟



إنَّنِى أَظُنُّ أَنَّنِى قَدْ فَقَدْتُ الْعِجْلَ إِلَى الأَبَدِ؛ إِذْ طَرَحَ عَلَيْنَا الْعُمْدَةُ لُغْزًا، لا أَظُنُّنِى قَادِرًا عَلَى أَنْ أَجِدَ لَهُ الْجَوَابَ الصَّحِيحَ، يَا عَزِيزَتِى «مَانْكَا».

مَا هَذَا اللُّغْزُ؟ قَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكَ فِى حَلِّهِ. ذَكَرَ الرَّاعِى الأَسْئِلَةَ الثَّلاثَةَ الَّتِى طَرَحَهَا الْعُمْدَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى خَصْمِهِ الْمُزَارِعِ، وَسَكَتَتْ «مَانْكَا»، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِى حَلِّ هَذَا اللُّغْزِ. وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى عِنْدَمَا كَانَ الرَّاعِى يَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعُمْدَةِ، أَجَابَتْ «مَانْكَا» إِجَابَةً، رَأَتْ أَنَّهَا السَّلِيمَةُ.

وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْخَصْمَانِ إِلَى الْعُمْدَةِ، فَرَكَ الْمُزَارِعُ يَدَيْهِ فِى بَعْضِهِمَا، وَلاحَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الْعُمْدَةِ فِى ثِقَةٍ، وَأَعَادَ هَذَا مِنْ جَدِيدٍ طَرْحَ الأَسْئِلَةِ الثَّلاثَةِ عَلَى الْمُتَقَاضِيَيْنِ، وَانْبَرَى الْمُزَارِعُ يَقُولُ:

– أَسْرَعُ مَا فِى الدُّنْيَا حِصَانِى، وَأَحْلَى مَا فِيهَا عَسَلِى، وَأَغْنَى وَأَثْرَى شَىْءٍ هُوَ: خِزَانَتِى الْعَامِرَةُ بِكُلِّ مَا هُوَ ثَمِينٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ.

وَنَفَخَ الْمُزَارِعُ صَدْرَهُ، وَأَطَالَ رَقَبَتَهُ، وَهَزَّ رَأْسَهُ؛ عَلامَةً عَلَى الْفَوْزِ وَالانْتِصَارِ، وَتَسَاءَلَ فِى اسْتِنْكَارٍ: هَلْ لَدَى الرَّاعِى إجَابَةٌ مِثْلُ الَّتِى ذَكَرْتُهَا؟

تَقَدَّمَ الرَّاعِى، وَحَنَى رَأْسَهُ قَلِيلا، وَقَالَ فِى هُدُوءٍ وَعُمْقٍ :

أَسْرَعُ مَا فِى الْوُجُودِ هُوَ «الأَفْكَارُ»؛ إذْ تَأْتِى الْفِكْرَةُ فِى لَمْحِ الْبَصَرِ، وَهَكَذَا تَمْضِى الأَفْكَارُ لَهَا أَجْنِحَةٌ. أَمَّا أَحْلَى شَىْءٍ يَا إخْوَتِى فَهُوَ «النَّوْمُ»، فَهَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِى حَلاوَتِهِ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا نَتْعَبُ؟ أَمَّا أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ غِنًى وَثَرَاءً فَهُوَ «الأَرْضُ»؛ لأَنَّهَا مَصْدَرُ كُلِّ الْغِنَى وَكُلِّ الثَّرَاءِ فِى هَذَا الْوُجُودِ بِمَنَاجِمِهَا وَآبَارِهَا،



بِغَابَاتِهَا وَزِرَاعَاتِهَا.

تَطَلَّعَ إلَيهِ الْعُمْدَةُ وَهُوَ يَقُولُ: إنَّ الْعِجْلَ لَكَ.

وَنَظَرَ إلَى الْمُزَارِعِ مُتَسَائِلاً :

– أَلَمْ تَكُنْ إجَابَاتُهُ الأَفْضَلَ وَالأَحْسَنَ؟ إنَّ لَدَىَّ رَغْبَةً عَارِمَةً فِى أَنْ أَعْرِفَ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَيْهَا؛ فَلا أَظُنُّهَا مِنْ عِنْدِهِ.

فِى الْبِدَايَةِ رَفَضَ الرَّاعِى أَنْ يُعْلِنَ عَمَّنْ أَعْطَتْهُ الإجَابَاتِ، لَكِنَّ الْعُمْدَةَ ضَغَطَ عَلَيْهِ؛ فَاضطُرَّ إلَى أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهَا ابْنَتُهُ «مَانْكَا» ، فَقَالَ الْعُمْدَةُ:

– إنَّ فِى جُعْبَتِى الْكَثِيرَ مِمَّا أَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنَ ابْنَتِكَ «مَانْكَا»؛ مِنْ أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ الاخْتِبَارِ لَهَا.

اعْتَدَلَ الْعُمْدَةُ فِى جِلْسَتِهِ، وَأَسَرَّ إلَى خَادِمِهِ أَنْ يُحْضِرَ عَشْرَ بَيْضَاتٍ أَعْطَاهَا لِلرَّاعِى، وَهُوَ يَقُولُ:

خُذْ هَذِهِ الْبَيْضَاتِ، وَاجْعَلِ ابْنَتَكَ «مَانْكَا» تُعَجِّلُ بِفَقْسِهَا غَداً، وَاحْمِلْ إلَىَّ الْكَتَاكِيتَ أَوِ الْفِرَاخَ الْعَشَرَةَ.

وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِى إلَى الْبَيْتِ أَبْلَغَ ابْنَتَهُ بِمَا طَلَبَهُ الْعُمْدَةُ، وَضَحِكَتِ الْفَتَاةُ الذَّكِيَّةُ، وَقَالَتْ لأَبِيهَا :



– خُذْ يا أَبِى حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ، وَاذْهَبْ بِهَا إِلَى الْعُمْدَةِ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَتِى تَسْأَلُكَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْرَعَهَا بِمَحْصُولٍ مَا، فِى يَوْمِنَا هَذَا، وَتَحْصُدَهُ غَداً؟ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنّ ابْنَتِى عَلَى اسْتِعْدَادٍ لأَنْ تَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِالْفِرَاخِ؛ لِكَى تُطْعِمَهَا مَا حَصَدْتَهُ مِنْ زَرْعِكَ !

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْعُمْدَةُ ذَلِكَ ضَحِكَ طَوِيلاً مِن أَعْمَاقِ قَلْبِه، وَقَالَ: إِنَّهَا فَتَاةٌ ذَكِيَّةٌ، بَلْ هِىَ غَايَةٌ فِى الذَّكَاءِ، وَإِذَا كَانَ جَمَالُهَا فِى

مُسْتَوَى ذَكَائِهَا، فَإِنَّنِى أَرَى أَنَّهَا تَصْلُحُ زَوْجَةً لِى، وَعَلَيْكَ أَنْ تُبْلِغَهَا بِأَنْ تَأْتِىَ لِزِيَارَتِى، بِشَرْطِ أَلا يَكُونَ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ أَوْ بِاللَّيْلِ، وَأَلا تَأْتِىَ رَاكِبَةً أَوْ سَائِرَةً عَلَى الأَقْدَامِ، وَأَلا تَكونَ عُرْيَانَةً، أَوْ مُرْتَدِيةً ثِيَابَهَا.

نَقَلَ الرَّاعِى رِسَالَةَ الْعُمْدَةِ إِلَى ابْنَتِهِ الَّتِى انْتَظَرَتْ إِلَى الْيَوْمِ التَّالِى، وَمَعَ الفَجْرِ وَعِنْدَمَا مَضَى اللَّيْلُ وَلَمْ يُقْبِلِ الصَّبَاحُ بَعْدُ، ذَهَبَتْ إِلَى الْعُمْدةِ، لَفَّتْ نَفْسَهَا فِى شَبَكَةِ صَيْدٍ، وَمَشَتْ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ وَوَضَعَتِ الأُخْرَى فَوْقَ عَنْزَتِهَا الصَّغِيرَةِ واسْتَقْبَلَهَا الْعُمْدَةُ فَقَالَتْ لَهُ :



عُرْيَانَةً وَلا أَضَعُ فَوْقِى ثِيَابِى، وَلا تَرَانِى لا رَاكِبَةً عَنْزَتِى، وَلا أَنَا أَمْشِى عَلَى قَدَمِى.

انْبَهَرَ الْعُمْدَةُ الشَّابُّ بِذَكَاءِ مَانْكَا، وَحُسْنِ تَصَرُّفِهَا وَسَعَةِ أُفُقِهَا، وَطَرِيقَةِ تَفْكِيرِهَا، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِيهَا يَطْلُبُ يَدَهَا وَاشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَائِلاً:

– مَانْكَا، عَلَيْكِ أَلا تُمَارِسِى ذَكَاءَكِ هَذَا عَلَىَّ شَخْصِيًّا، وَلا عَلَى حِسَابِى، وَأُحَذِّرُكِ مِنَ التَّدَخُّلِ فِى عَمَلِى، أَوْ فِى قَضَايَاىَ، بِأَىِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكَالِ، وَأَنْتِ مَمْنُوعَةٌ تَمَامًا أَنْ تُقَدِّمِى لأَحَدٍ رَأْيَكِ أَوْ مُسَاعَدَتَكِ إِذَا لَجَأَ إِلَىَّ؛ إِنَّكِ إِذَا فَعَلْتِ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَإِنَّنِى سَأَتَخَلَّصُ مِنْكِ فِى التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ، وَأُعِيدُكِ إِلَى بَيْتِ أَبِيكِ.. هَلْ تُوافِقِينَنِى عَلَى هَذَا الشَّرْطِ؟

احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ ، وَخَفَضَتْ صَوْتَهَا وَرَأْسَهَا، وَهِىَ تَقُولُ فِى رِقَّةٍ وَعُذُوبَةٍ: نَعَمْ أُوَافِقُكَ.

وَتَمَّ زَوَاجُ الْعُمْدَةِ مِنْ مَانْكَا، وَكَمَا يَقُولُونَ دَائِمًا فِى الْحِكَايَاتِ: وَأُقِيمَتِ الأَفْرَاحُ وَاللَّيَالِى الْمِلاحُ.

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ إِلَى دَارِ الْعُمْدَةِ فَلاحَانِ يَتَنَازَعَانِ مِلْكِيَّةَ مُهْرٍ

صَغِيرٍ، وَضَعَتْهُ فَرَسُ أَحَدِهِمَا تَحْتَ عَرَبَةِ الآخَرِ فِى السُّوقِ، فَادَّعَى كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَّهُ لَهُ. وكَانَ الْعُمْدَةُ مَشْغُولاً بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، ورَغِبَ فِى أَنْ يَفْرُغَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بِسُرْعَةٍ، وَإِذَا بِهِ فِى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَحْكُمُ بِأَنَّ الْمُهْرَ الصَّغِيرَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِ العَرَبَةِ الَّتِى وُلِدَ تَحْتَهَا.

وَعِنْدَمَا كَانَ الْفَلاحُ صَاحِبُ الْفَرَسِ الأُمِّ يُغَادِرُ بَيْتَ الْعُمْدَةِ الْتقَى مَعَ «مَانْكَا» عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَحَكَى لَهَا مَا حَدَثَ مِنْ زَوْجِهَا، فَغَضِبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ الَّذِى أَصْدَرَهُ، وَقَالَتْ لِلْفَلاحِ:



عُدْ إِلَيْنَا بَعْدَ ظُهْرِ الْيَوْمِ، وَمَعَكَ وَاحِدَةٌ مِنْ شِبَاكِ صَيْدِ الأَسْمَاكِ، وَافْرِشْهَا عَلَى الأَرْضِ، بِعُرْضِ الطَّرِيقِ، وَعِنْدَمَا يَرَاكَ الْعُمْدَةُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَسَوْفَ يَخْرُجُ وَيَسْأَلُكَ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ قُلْ لَهُ: إِنَّكَ

تَصِيدُ السَّمَكَ! وَإِذَا مَا قَالَ لَكَ : كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَوَقَّعَ صَيْدَ السَّمَكِ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ؟ قُلْ لَهُ : لَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ عَلَى الأَقَلِّ أَسْهَلُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ تَلِدَ عَرَبَةٌ مُهْرًا صَغِيرًا. وَعِنْدَهَا سَوْفَ يُحِسُّ أَنَّهُ قَدْ ظَلَمَكَ، وَيُعِيدُ إِلَيْكَ مُهْرَكَ. وَتَنَبَّهْ إِلَى شَىْءٍ مُهِمٍّ؛ احْذَرْ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّنِى أَنَا الَّتِى أَرْشَدْتُكَ إِلَى هَذَا، وَدَلَلْتُكَ عَلِيهِ.

وَبَعْدَ ظُهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ الفَلاحُ بِالشَّبَكَةِ، وَأَلْقَى بِهَا عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ بَيْتِ الْعُمْدَةُ، الَّذِى رَآهُ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَفْعَلُهُ، وَدَارَ الْحِوَارُ بَيْنَهُمَا عَلَى نَفْسِ مَا تَوَقَّعَتْهُ «مَانْكَا»، وَفِعْلا اعْتَرَفَ الْعُمْدَةُ بِأَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ فِى حُكْمِهِ فِى الصَّبَاحِ، وَأَعَادَ إِلَى الرَّجُلِ مُهْرَهُ، لَكِنَّهُ أَحَسَّ مِنْ تَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ أَنَّ «مَانْكَا» لابُدَّ أَنْ تَكُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ؛ لِذَلِكَ سَأَلَ الرَّجُلَ فِى إِصْرَارٍ عَمَّنْ دَبَّرَ لَهُ هَذَا الأَمْرَ، وَوَضَعَ لَهُ هَذِهِ الْخُطَّةَ، وَحَاوَلَ الْفَلاحُ أَنْ يُخْفِىَ الأَمْرَ عَنِ الْعُمْدَةِ، إِلا أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَدَعَهُ يُغَادِرُ الْمَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْتَرِفَ لَهُ بِالأَمْرِ، وَيَكْشِفَ السِّتَارَ عَمَّنْ عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ.

وَعِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْعُمْدَةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْرِفَةِ صَاحِبِ الْفِكْرَةِ اضْطُرَّ الرَّجُلُ إِلَى أَنْ يُعْلِنَ أَنَّهَا «مَانْكَا»، وَأَنَّهُ مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يَسْتَطِيعُ قَطُّ أَنْ يُفَكِّرَ بِهَذَا الأُسْلُوبِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةِ غَيْرُهَا هِىَ وَحْدَهَا.

فَقَدَ الْعُمْدَةُ صَوَابَهُ، وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَذَكَّرَ زَوْجَتَهُ بِمَا سَبَقَ أَنِ اشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَبْلَ الزَّوَاجِ، وَقَالَ:

– لا أَظُنُّكِ نَسِيتِ مَا حَذَّرْتُكِ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، إِذَا أَنْتِ تَدَخَّلْتِ فِى عَمَلِى. إِنَّ عَلَيْكِ الآنَ أَنْ تُغَادِرِى بَيْتِى إِلَى بَيْتِ أَبِيكِ، وَلَيْسَ مَسْمُوحًا لَكِ أَن تَحْمِلِى مِنْ عِنْدِى غَيْرَ شَىْءٍ وَاحِدٍ.. وَاحِدٍ فَقَطْ، تَرْغَبِينَ فِيهِ وَتَعْتَزِّينَ بِهِ، حَتَّى لا يُقَالَ: إِنَّنِى قَدْ أَسَأْتُ مُعَامَلَتَكِ أَوْ أَخْطَأْتُ فِى حَقِّكِ.

لَمْ يَكُنْ لَدَى «مَانْكَا» مِنْ عُذْرٍ لِمَا صَنَعَتْهُ وَلامبَرِّرٌ لِمَا عَمِلَتْهُ؛ لِذَلِكَ اعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا أَخْطَأَتْ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا حَضْرَةِ الْعُمْدَةِ فِى اسْتِعْطَافٍ:

إِنَّنِى يَا زَوْجِىَ الْعَزِيزَ مَا كُنْتُ أُرِيدُ بِمَا فَعَلْتُ غَيْرَ أَنْ يَصِلَ الْحَقُّ إِلَى صَاحِبِهِ لا أَكْثَرَ وَلا أَقَلَّ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ سَوْفَ أَسْتَجِيبُ لِمَا أَمَرتَ بِهِ، وَهَذَا حَقُّكَ، وَسَأَعُودُ إِلَى كُوخِ أَبِى، حَامِلَةً مَعِىَ ذَلِكَ الشَّىْءَ الْوَحِيدَ الَّذِى أَذِنْتَ بِهِ، وَالَّذِى أَتَمَنَّاهُ وَأَرْغَبُ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّنِى أَرْجُوكَ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا بَعْدَ أَنْ أَتَنَاوَلَ مَعَكَ طَعَامَ الْعَشَاءِ. إِنَّهُ الْعَشَاءُ الأَخِيرُ لِى فِى هَذِهِ الدَّارِ، فَلا تَحْرِمْنِى مِنْهُ، وَلَنْ أَتَبَادَلَ مَعَكَ كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَلَنْ تَصْدُرَ مِنِّى عِبَارَةُ اعْتِرَاضٍ وَاحِدَةٌ عَلَى قَرَارِكَ، وَلَكِنْ

وَدُودَيْنِ، كُلٌّ مَعَ الآخَرِ، كَمَا كُنَّا دَائِمًا، وَلْنَفْتَرِقْ كَصَدِيقَيْنِ.

وَافَقَ الْعُمْدَةُ عَلَى مَا طَلَبَتْه «مَانْكَا» الَّتِى أَخَذَتْ تُعِدُّ لَهُ أَفْخَرَ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَحْلُو لَهُ مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَا، وَجَلَسَا مَعًا إِلَى مَائِدَةِ الْعَشَاءِ، وَأَخَذَتْ تُقَدِّمُ لَهُ هَذِهِ الأَطْبَاقَ وَاحِدًا بَعْدَ الآخَرِ، وَتَسْقِيهِ مِنَ الأَكْوَابِ شَرَابًا لَذِيذًا طَهُورًا، وَعِنْدَمَا انْتَهَيَا مِنْ وَجْبَتَيْهِمَا بَدَأَ النَّوْمُ يُدَاعِبُ جُفُونَ الْعُمْدَةِ، وَلَمْ تُحَاوِلْ «مَانْكَا» إِيقَاظَهُ،بَلْ حَمَلَتْهُ مَعَهَا، وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِى نَوْمِهِ، وَمَضَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا فِى عَرَبَةٍ أَعَدَّتْهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وَفِى صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِى ، عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنْ نَوْمِهِ، أَبْدَى دَهْشَتَهُ الشَّدِيدَةَ؛ لأَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ فِى كُوخِ وَالِدِ «مَانْكَا»،



فَالْتَفَتَ حَوْلَهُ، وَسَأَلَهَا فِى غَضَبٍ شَدِيدٍ: مَنْ أَتَى بِى إِلَى هُنَا؟ وَمَاذَا يَعْنِى هَذَا؟

قَالَت «مَانْكَا»: لا شَىْءَ، يَا زَوْجِىَ الْعَزِيزَ، إِنَّنِى أُنَفِّذُ مَا أَمَرْتَ أَنْتَ بِهِ، حِينَ قُلْتَ لِى: إِنَّ مِنْ حَقِّى أَنْ أَحْمِلَ مَعِىَ شَيْئًا وَاحِداً أَرْغَبُ فِيهِ وَأَعْتَزُّ بِهِ.. صَاحَ فِى ضِيقٍ: أَنْتِ لَمْ تُجِيبِينِى عَلَى سُؤَالِى الآن.

أَضَافَتْ: إِنَّكَ أَنْتَ يَا زَوْجِىَ الْعَزِيزَ ذَلِكَ الشَّىْءُ الْوَحِيدُ الَّذِى أَعْتَزُّ بِهِ، وَأَرْغَبُ فِيهِ، وَلا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ بِدُونِه؛ لِذَلِكَ صَحِبْتُكَ إِلَى بَيْتِ أَبِى بِمَشِيئَتِكَ وَإِرَادَتِكَ. نَهَضَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنَ الْفِرَاشِ الْمُتَوَاضِعِ، وَأَمْسَكَ بِيَدِ زَوْجَتِه، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا:

– «مَانْكَا»، يَا عَزِيزَتِى، أَنْتِ فِى مُنْتَهَى الذَّكَاءِ، وَأَعْتَرِفُ لَكِ أَنَّكِ زَوْجَةٌ رَائِعَةٌ، وَلَسَوْفَ أَقُولُ لِمَنْ يَلْجَأُ إِلَىَّ فِى مُشْكِلَةٍ صَعْبَةٍ: دَعْنِى أَسْتَشِرْ زَوْجَتِى؛ لأَنَّهَا إِنْسَانَةٌ ذَكِيَّةٌ وَعَادِلَةٌ.

وَتَرَكَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ و«مَانْكَا» كُوخَ الأَبِ إِلَى بَيْتِهِمَا السَّعِيدِ.

كَارَاكُونُوشُ

يَقُولُونَ : إنَّ الْعَفَارِيتَ قَدِ اخْتَفَتْ مِنْ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، وَمَا عُدْنَا نَرَاهُمْ، لَكِنَّ قَرْيَةَ «رُوكْنِيسَ» فِى جِبَالِ «بُوهِيمْيَا» تَزْعُمُ أَنَّهَا تَحْتَفِظُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْيَوْمِ، يَعْطِسُ فَتَهُبُّ الرِّيَاحُ، يَعْبِسُ فَتَتَجَمَّعُ السُّحُبُ السَّوْدَاءُ، وَيَغْضَبُ فَتَثُورُ الْبَرَاكِينُ.

فِى قَرْيَةِ «رُوكْنِيسَ» عَاشَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ مِسْكِينَةٌ وَحِيدَةٌ لا تَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ بَعْضِ دَجَاجَاتٍ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَاعَتِ الْمَرْأَةُ وَاضْطُرَّتْ إِلَى أَنْ تَطْرُقَ بَابَ جِيرَانِهَا؛ لِتَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمْ :

– هَلْ لِى أَنْ أَرْجُوكُمْ أَنْ تُعْطُونِى «كِيلُو» مِنَ الْبَطَاطِسِ وَأُعِيدَهُ



لَكُمْ قَرِيبًا؟

سَخِرَ مِنْهَا جَارُهَا، وَقَالَ لَهَا :

– مِنْ أَيْنَ لَكِ أَنْ تُعِيدِيهِ ! أَنْتِ لا تَمْلِكِينَ شَيْئًا.

قَالَتْ : دَجَاجَتِى تَبِيضُ ، وَعِنْدَمَا...

– لا .. لا ...

هَذَا مَا قَالَهُ الْجَارُ، وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ فِى وَجْهِهَا.

رَجَعَتِ الأَرْمَلَةُ الْمِسْكِينَةُ إِلَى بَيْتِهَا، وَوَجَدَتْ أَنَّ دَجَاجَاتِهَا قَدْ مَنَحَتْهَا ثَلاثَ بَيْضَاتٍ، قَالَتْ لِنَفْسِهَا:

– كَانَ يُمْكِنُ لِهَذَا الْجَارِ – الَّذِى جَارَ عَلَىَّ – أَنْ يُعْفِينِى مِنَ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى السُّوقِ، لَوْ أَنَّهُ أَعْطَانِىَ الْبَطَاطِسَ الَّتِى سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا.

ارْتَدَتِ الأَرْمَلَةُ ثِيَابَهَا عَلَى عَجَلٍ، وَحَمَلَتِ الْبَيْضَاتِ الثَّلاثَ، وَمَضَتْ مُسْرِعَةً إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ، تُرِيدُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفَضَّ؛ إِذِ إِنَّ الَّذِينَ فِيهِ يَرْحَلُونَ مِنْهُ عَصْرًا؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى قُرَاهُمُ الْبَعِيدَةِ.

الْتَقَتِ الأَرْمَلَةُ فِى طَرِيقِهَا مَعَ رَجُلٍ، يَنْتَزِعُ أَقْدَامَهُ بِصُعُوبَةٍ مِنْ

فَوْقِ الأَرْضِ، وَيَسيرُ عَلَى مَهَلٍ، وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ، كَمَا أَنَّهُ يَتَوَقَّفُ كُلَّ خَمْسِينَ خُطْوَةً؛ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلاً، ثُمَّ يُوَاصِلُ السَّيْرَ. نَادَاهَا الرَّجُلُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ قَائِلاً:

– هَلْ لَدَيْكِ مَا تُعْطِينِى إِيَّاهُ طَعَامًا ؟ مَعِدَتِى خَاوِيَةٌ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ !

– لَيْسَ مَعِيَ غَيْرُ ثَلاثِ بَيْضَاتٍ ، أَحْتَاجُ إِلَى ثَمَنِهَا !

– اسْتَغْنِى عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

– تَفَضَّلْ !



أَعْطَتْهُ الأَرْمَلَةُ بَيْضَةً، وَأَسْرَعَتْ فِى سَيْرِهَا، لَكِنَّهَا سَمِعَتْهُ بَعْدَ عِدَّةِ خُطُواتٍ يُنَادِيهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَيَسْأَلُهَا بَيْضَةً أُخْرَى، فَقَالَتْ :

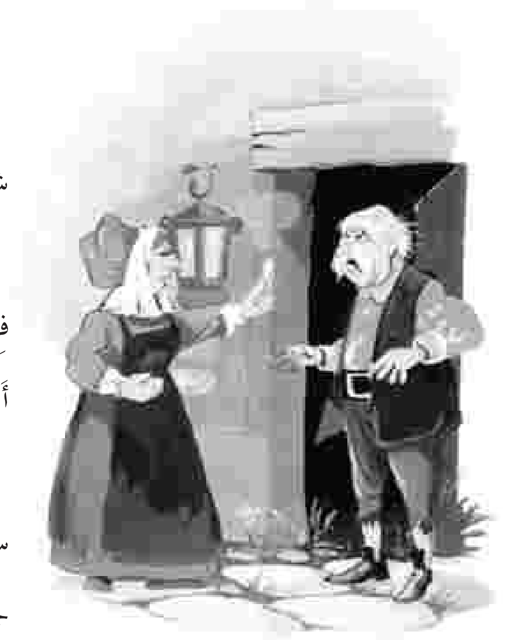
– وَهَلْ أَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ لأَبِيعَ بَيْضَةً وَاحِدَةً!

أَمْرِى إِلَى اللَّهِ !

– الأُولَى فَتَحَتْ شَهِيَّتِى.

وَضَعَتِ المَرْأَةُ الْبَيْضَةَ فِى يَدِهِ، وَمَضَتْ، غَيْرَ أَنَّهُ نَادَاهَا لِلمَرَّةِ الثَّالِثَةِ:

– الْبَيْضَةُ الثَّالِثَةُ، سَأَشْتَرِيهَا مِنْكِ بِمُقَابِلِ جُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ، وَأَدْفَعُ كَذَلِكَ



ثَمَنَ الْبَيْضَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ.. خُذِى. . هَذِهِ ثَلاثَةُ جُنَيْهَاتٍ ذَهَبِيَّةٌ.

ذُهِلَتِ الْمَرْأَةُ، وَأَخَذَتِ الْجُنَيْهَاتِ، وَأَعْطَتْهُ الْبَيْضَةَ، وَعَادَتْ إِلَى الْقَرْيَةِ، وَطَرَقَتْ بَابَ الْجَارِ الشَّحِيحِ، وَقَالَتْ لَهُ :

– أُرِيدُ جوَالِقَ (شُوَالَ) بَطَاطِسٍ، وَجوَالِقَ دَقِيقٍ، وَجوَالِقَ سُكَّرٍ، وَبَاقِى جُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ.

صَاحَ الْجَارُ: جُنَيْهٌ ذَهَبِىٌّ ! لَقَدْ نَسِيتُ شَكْلَهُ !

اصْفَرَّ وَجْهُ الْجَارِ، وَبَدَأَ يَجْرِى هُنَا وَهُنَاكَ، مِثْلَ دَجَاجَةٍ تَبْحَثُ عَنْ صِغَارِهَا، وَعَادَ يَحْمِلُ إِلَيْهَا مَا طَلَبَتْ، وَفَوْقَهُ هَدِيَّةٌ، وَسَأَلَهَا:

مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا؟ فَقَالَتْ:

– قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى السُّوقِ قَابَلَنِى مَنِ اشْتَرَى مِنِّى الْبَيْضَةَ بِجُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ !

أَعْطَى الْجَارُ لِلأَرْمَلَةِ مَا اشْتَرَتْهُ ، وَعَادَ مُسْرِعًا، يَحْمِلُ مَا عِنَدَّهُ مِنَ البَيْضِ، وَيَمْضِى عَلَى الطَّرِيقِ ، وَالْتَقَى بِهِ الرَّجُلُ نَفْسُهُ، وَسَاوَمَهُ، وَإِذَا بِهِ يَقُولُ لَهُ:

– لَنْ أَبِيعَ لَكَ الْبَيْضَةَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ جُنَيْهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ.

– أَلا تَكْتَفِى بِجُنَيْهٍ وَاحِدٍ ؟

– لا لا .. لا تُعَطِّلْنِى عَنِ السُّوقِ، أَرْجُوكَ.

تَرَكَهُ الْعَجُوزُ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَشْتَرِى مِنْهُ الْبَيْضَ، إِلا بِثَمَنٍ بَخْسٍ، لا يَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ قُرُوشٍ لِلْبَيْضَةِ؛ فَعَادَ يَحْمِلُ كُلَّ الْكَمِّيَّةِ، وَخِلالَ رِحْلَةِ الْعَوْدَةِ حَاوَلَ الْعَجُوزُ أَنْ يَشْتَرِىَ مِنْهُ كُلَّ مَا مَعَهُ بِمُقَابِلِ خَمْسَةِ قُرُوشٍ. وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ تَعِبَ مِنْ حَمْلِ الْبَيْضِ؛ لِذَلِكَ قَبِلَ الصَّفْقَةَ، فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ :

– هَلْ تُعْطِينِى هَذِهِ السَّلَّةَ؛ لأَضَعَهُ فِيهَا ؟

– أَبِيعُهَا لَكَ بِجُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ.



– لا لا .. لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا. ضَعْ يَدَيْكَ عَلَى عَيْنَيْكَ.

– لِمَاذَا !

– هُوَ مُجَرَّدُ رَجَاءٍ أَسْأَلُكَ إِيَّاهُ .

فَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَتَرَامَى إِلَى سَمْعِهِ أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ، اضطُرَّ إِزَاءَهَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَجِدَ الْعَجُوزَ يُلْقِى بَيْضَةً وَاحِدَةً بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ عَلَى الأَرْضِ لِتَتَحَطَّمَ.

مَدَّ الْعَجُوزُ – كَارَاكُونُوشُ – يَدَهُ؛ لِكَىْ يَلْتَقِطَ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الْمَكْسُورَةِ جُنَيْهًا ذَهَبِيًّا يَلْمَعُ، وَوَضَعَهُ فِى جَيْبِهِ، ثُمَّ أَلْقَى بَيْضَةً أُخْرَى؛ لِيَأْخُذَ مِنْهَا جُنَيْهَاتٍ أُخْرَى، فِى حِينِ فَتَحَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ فِى

ذُهُولٍ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَحْطِيمِ الْمَزِيدِ مِنَ الْبَيْضِ قَائلا:

– كَفَى أَرْجُوكَ؛ فَقَدْ تَذَكَّرْتُ الآنَ أَنَّنِى وَعَدْتُ جَارَتِى بِهَذَا البَيْضِ؛ لِذَلِكَ أَرْجُوكَ، فَإِنَّنِى أَرْغَبُ فِى أَنْ أَسْتَعِيدَهُ.

تَجَادَلَ الرَّجُلُ مَعَ كَاراَكُونُوشُ فِى الأَمْرِ بِضْعَ دَقَائِقَ، إِلَى أَنْ قَبِلَ أَنْ يَرُدَّ لَهُ الْبَيْضَ، مُتَسَامِحًا مَعَهُ فِى الْبَيْضَتَيْنِ الْمَكْسُورَتَيْنِ.

وَمَضَى عَنْهُ كَاراَكُونُوشُ بِضعَ خُطُواتٍ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاءِ؛ لِيَرَى مَا سَوْفَ يَفْعَلُهُ، فَوَجَدَ يَدَهُ قَد امْتَدَّتْ إِلَى بَيْضَةٍ لِيَكْسِرَهَا عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ، فَلَمْ يَجِدْ بِدَاخِلِهَا شَيْئًا، فَأَخَذَ يَكْسِرُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى دُونَ أَنْ يَعْثُرَ فِى أَىٍّ مِنْهَا عَلَى شَىْءٍ، بَلْ لَمْ يَجِدْ فِيهَا قِرْشًا وَاحِدًا!



وَجَلَسَ الرَّجُلُ يَتَطَلَّعُ إِلَى حُطَامِ الْبَيْضِ

السَّلَّةَ بِقَدَمَيْهِ بِقُوَّةٍ، إِلَى أَنْ أَطَاحَ بِهِ، وَكَسَرَهُ عَنْ آخِرِهِ. فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي خَرَجَ مِنَ الْبَيْضِ فَجْأَةً عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّحْلِ ، وَأَخَذَ يَقْرُصُهُ ، وَهُوَ يَصْرُخُ :

– آهْ .. إِنَّهُ كَارَاكُونُوشُ !

وَارْتَفَعَ صَوْتٌ مُدَوٍّ مِنْ فَوْقِ الْجِبَالِ، سُمِعَتْ أَصْدَاؤُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ :

– كَارَاكُونُوشُ .. كَارَاكُونُوشُ .. كَارَاكُونُوشُ .

